كتاب اليوم





دار
أخبار اليوم
قطاع الثقافة

كتاب
اليوم
يصدر
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :
إبراهيم سعده

رئيس التحرير :
نبيل أباظة

عدد أغسطس

أسعار كتاب اليوم فى الخارج

الجماهيرية العظمى	١	دينار
المغرب	١٧	درهما
لبنان	٢٥٠٠	ليرة
الأردن	١٥٠٠	فلس
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١	دينار
السعودية	١٠	ريالات
السودان	٣٢٠٠	قرش
تونس	٢	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتيما
سوريا	٧٥	ل س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١	دينار
سلطنة عمان	١	ريال
غزة	١٥٠	سنتا
ج اليمنية	١٥٠	ريالا
الصومال، نيجيريا	٨٠	سنى
السنغال	٦٠	فرنك
الإمارات	١٠	درهم
قطر	١٠	ريال
انجلترا	١,٧٥	جك
فرنسا	١٠	فرنك
ألمانيا	١٠	مارك
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٢٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنك
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلن
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٣٥٠	روبية
كندا أمريكا	٣٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك واشنطن	٣٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
استراليا	٤٠٠	سنت

● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية

قيمة الاشتراك السنوى ٤٨ جنيها مصريا

البريد الجوى

دول اتحاد البريد العربى ٢٥ دولارا

اتحاد البريد الافريقى ٣٠ دولارا

أوربا وأمريكا ٣٥ دولارا

أمريكا الجنوبية واليابان واستراليا

٤٥ دولارا أمريكيا أو ما يعادله

● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور

● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ (أ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ (٥ خطوط)

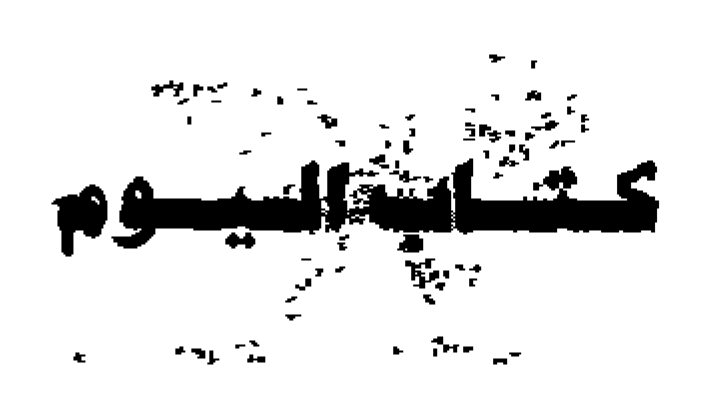
● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تلكس دولى : ٢٠٣٢١٠

● تلكس محلى : ٢٨٢



محمود صلاح



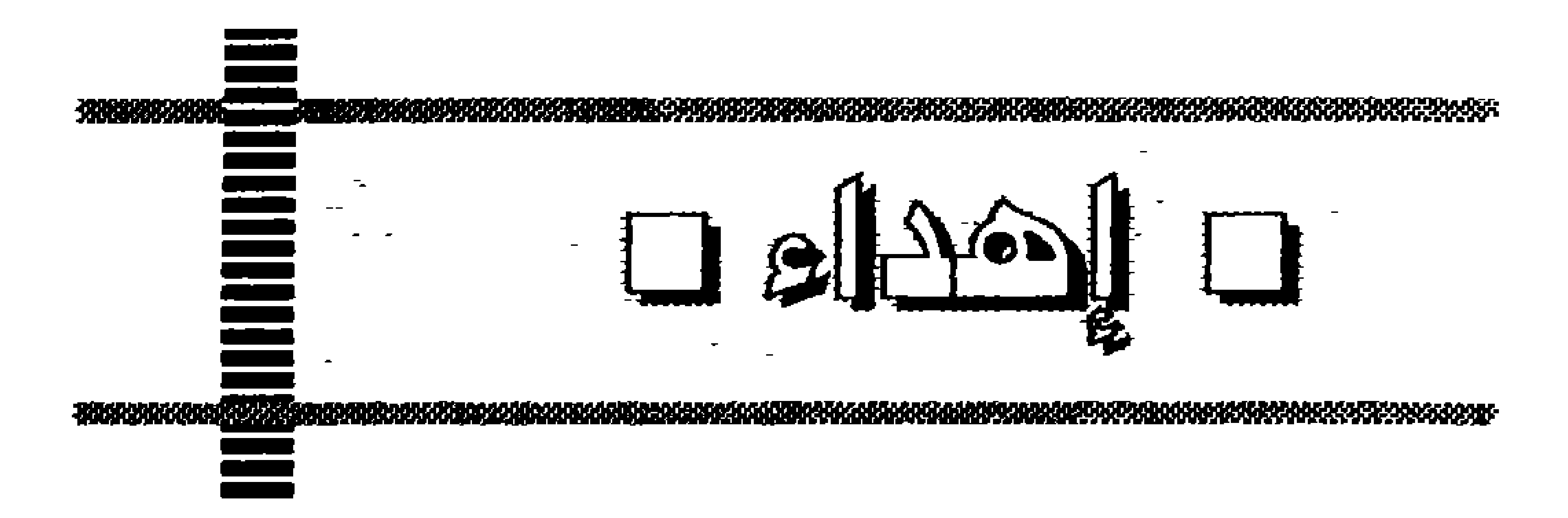
عدد أغسطس

الغلاف بريشة الفنان :

عمرو فهمى

الإخراج الفنى :

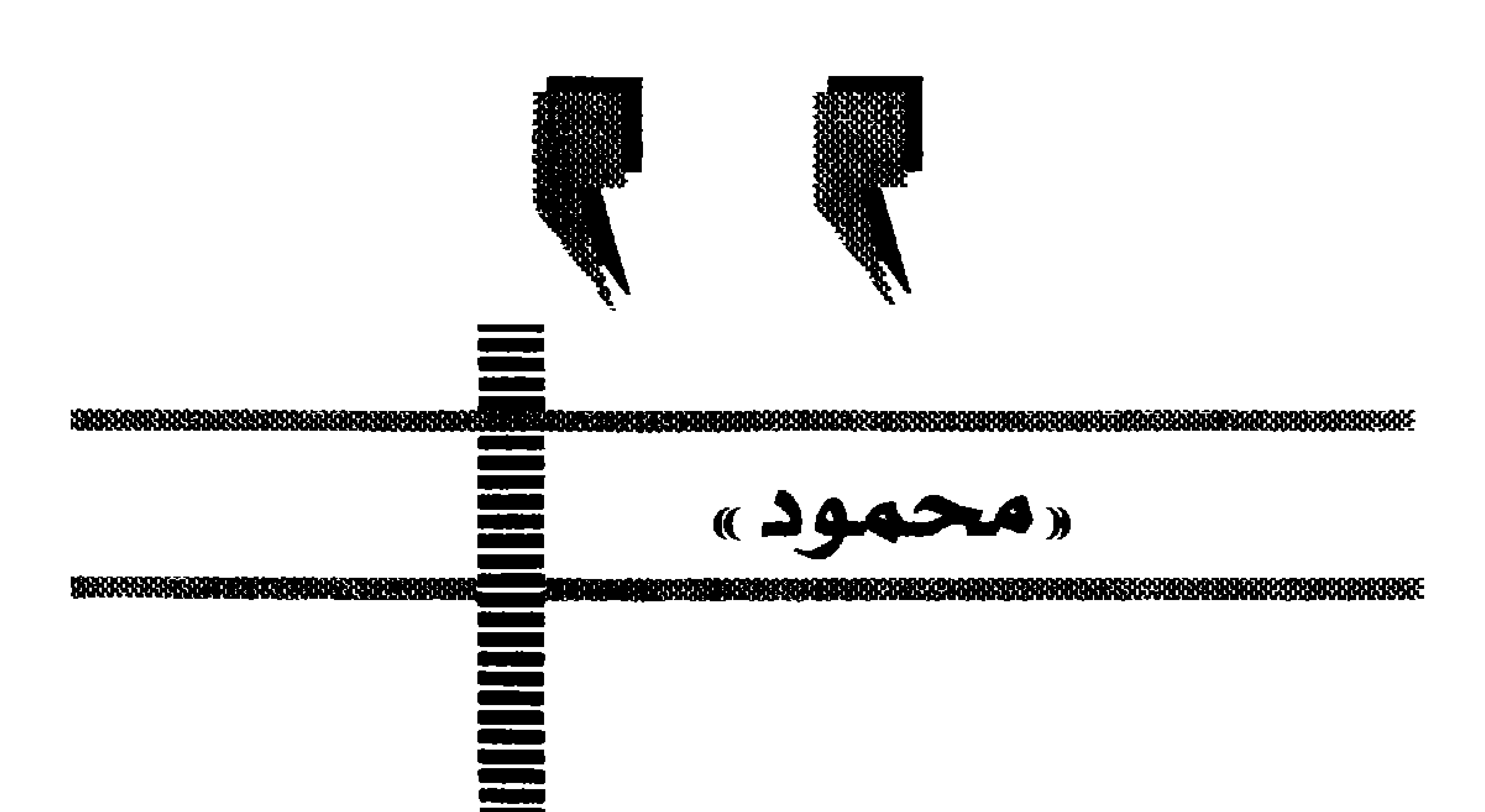
أحمد سامح حسين



■ الى روح أبى .

■ إلى كل من علمونى ... وكان لهم الفضل بالجميل .

■ فأصبح علىَ الواجب بالإعتراف .



مقدمة لابد منها

هذه القصص من القضايا والحوادث والجرائم التى صادفتنى فى حياتى الصحفية علمتنى الكثير.

علمتنى أن الجريمة لا تفيد. وان الشر. اى شر لابد له من نهاية. وان الخير اطول عمرا. من كل الشرور.

وعلمتنى ان لكل انسان نقطة ضعف. لكن المهم الا تتحول هذه النقطة الى بحر يغرق فيه ويغرق الآخرين معه.

وعلمتنى - هذه الجرائم - ان اكره الشيطان. وان الملجا الوحيد للابتعاد عنه. هو الاقتراب من الله.

«المؤلف»





ساد الرعب فى مدينة القناطر الخيرية فى ضواحى القاهرة والتزم السكان منازلهم وأوصدوا أبوابهم وحبسوا أطفالهم.. وأصبحت شوارع المدينة الشهيرة خاوية.. كلما غربت الشمس وهبط الظلام !

لم تكن إشاعة مرعبة هى التى أثارت الذعر والرعب .. بل جريمة قتل بشعة راحت ضحيتها أم وطفلتها الصغيرة هى التى جعلت سكان القناطر الخيرية يصابون بالفزع ..

لم تكن الجريمة البشعة وحدها هى التى أثارتهم ..

بل كان فى إمكان أى شخص أن يشم « رائحة الخوف » تنبعث من كل منزل وشارع ..

فى المدينة : قاتل هارب !

لم يستطع رجال الشرطة أن يعرفوا قصة اكتشاف الجريمة إلا بعد أن ظلوا يحاولون تهدئة الموظف البسيط الذى دخل مركز الشرطة فى حالة هيستيرية عنيفة .. كانت الدموع تغمر عينيه .. وكان جسده يرتعش بعنف وكأنه ريشة فى مهب الريح .. كان يبكى مثل الأطفال .. ويولول مثل النساء !

— قال الموظف المسكين : لقد انتهيت وانتهت حياتى.. قتلونى.. ذبحونى !

— سأله رجل الشرطة بدهشة : كيف قتلوك وأنت أمامنا على قيد الحياة ؟

□ رد الموظف بدموعه : قتلوا زوجتي وطفلتي المحبوبة ... الجسدين الطاهرين ... آه .. لم يعد باقيا لى أحد فى هذه الدنيا .. ماذا أفعل وكيف أعيش ؟!

□ □ □

كان المشهد مروعا أمام رجال الشرطة عندما أسرعوا مع الموظف إلى منزله .. كانت ردهة المنزل قد تحولت إلى ما يشبه بحيرة من الدماء !

كانت الدماء تغرق الأرض وتتناثر على حوائط الردهة بشكل يثير التقزز .. لكن الفزع كله كان مجسدا فى مشهد جثة زوجة الموظف وجثة طفلتها الملقاه بجوارها .. كانت المرأة المسكينة قد قتلت بطريقة بشعة . فقد طعنها القاتل المجهول أكثر من ستين طعنة فى مختلف أنحاء جسدها .. حتى امتلأ هذا الجسد بالثقوب الدامية وأصبح مثل المصفاة ! وعلى مقربة من جثة الزوجة .. كانت ترقد على الأرض جثة طفلتها التى لايزيد عمرها على أربع سنوات .. وكان وجهها البرىء قد احتقن وازرق لونه .. كان واضحا أن القاتل السفاح لم يكتف بقتل الأم .. بل تمادى وخنق الطفلة الصغيرة دون أى رحمة !

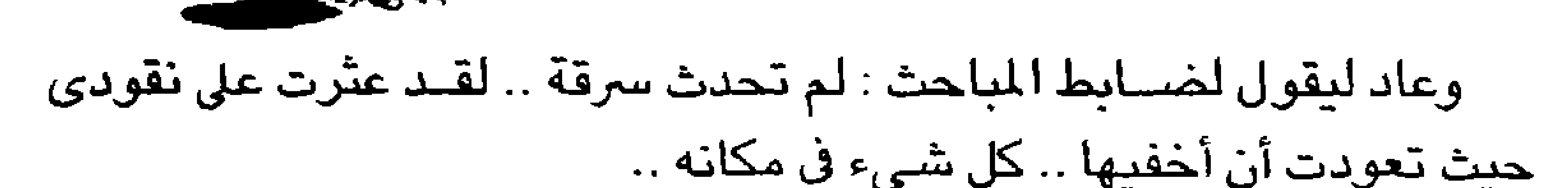
وسرعان ما امتلأ المنزل برجال المباحث وخبراء المعمل الجنائى الذين جاءوا لتصوير مسرح الجريمة ورفع ما قد يكون موجودا من آثار وبصمات .. وجلس الزوج الموظف منهارا فى إحدى الحجرات لايجرؤ على مشاهدة المذبحة التى حدثت لأسرته.

— سأله مفتش المباحث : هل تتهم أحدا ؟

□ رد الرجل باكيا . لا أتهم أحدا بارتكاب هذه الجريمة البشعة !

□ □ □

ولأن رجال المباحث يعلمون أن وراء كل جريمة قتل دافعا .. فقد راحوا فى الحال يفتشون فى أرجاء المنزل ويسألون الزوج المنهار عما إذا كان شىء قد اختفى من المنزل .. وأخذ الرجل المتهالك يبحث ضائعا هنا وهناك ..



وعاد ليقول لضابط المباحث : لم تحدث سرقة .. لقد عثرت على نقودى حيث تعودت أن أخفيها .. كل شىء فى مكانه ..

— قال له ضابط المباحث · لقد اكتشفنا أن بعض الأساور الذهبية التى كانت زوجتك ترتديها قد نزعت من يدها عنوة .

قال الزوج . وشىء آخر اختفى .. لقد اختفت حقيبة كنت اشتريتها منذ أسبوع من أحد المحال التجارية بمدينة بورسعيد . و...

— سأله ضابط المباحث وماذا كان بداخل هذه الحقيبة ؟

رد الزوج : قميص نوم جديد لزوجتى !

□ □ □

بات واضحا أن الجريمة المروعة قد ارتكبت بهدف السرقة .. وكان الغريب أن اللص القاتل قد فشل فى العثور على النقود التى أخفاها الزوج .. ولم يسرق سوى ١٨٠ جنيها كانت موضوعة فى مكان واضح بدولاب الملابس .. كما سرق الأساور الذهبية من يد الزوجة بعد أن قتلها .. وقبل أن يهرب .. سرق الحقيبة وبداخلها قميص النوم الجديد !

ولم يكن رجال المباحث فى حاجة إلى جهد كبير ليكتشفوا من الوهلة الأولى أن اللص ليس غريبا عن المنزل وأصحابه .

فلم تكن هناك آثار عنف تقول إن اللص قد دخل المنزل عنوة .. بالإضافة إلى أنهم عثروا على كوب شاى فوق منضدة بردهة المنزل .. وعندما أكد الزوج أن زوجته لاتشرب الشاى .. أدرك رجال المباحث أن الزوجة بنفسها هى التى فتحت باب المنزل للص القاتل .. بل وأعدت له الشاى أيضا .

إذن القتيلة .. كانت تعرف القاتل !

□ □ □

ومرت الأيام ورجال المباحث يجرون تحرياتهم فى كل مكان .. لكنهم لم يستطيعوا أن يسيطروا على الذعر الذى اجتاح مدينة القناطر .. فقد انتشر خبر الجريمة البشعة بسرعة .. وتناقله الناس وأضافوا إليه .. قال بعضهم أن القاتل سفاح مجنون .. وقال البعض الآخر : بل هى عصابة خطيرة

هبطت إلى المدينة الآمنة بهدف السرقة والنهب والقتل .

وبدأ رجال المباحث يجمعون المعلومات حول كل الأشخاص الذين كانوا يترددون على منزل الموظف .. سواء بحكم الجيرة أو القرابة أو الصداقة.. كان رجال المعمل الجنائي قد عثروا على بصمة غريبة فى المنزل وعلى كوب الشاى الذى لم يشربه اللص القاتل المجهول .. وراحوا بجنون يسألون مئات الأشخاص ويطابقون بصماتهم بالبصمة التى عثروا عليها .. دون جدوى !

لكن مصادفة .. هى التى قادتهم إلى القاتل الهارب !

□ □ □

كانوا قد التقطوا عاملا فى ورشة إصلاح سيارات قريبة من منزل الزوجة القتيلة بعد أن اشتبهوا فيه .

□ وسألوه : أين كنت وقت ارتكاب الحادث ؟

— قال العامل : كنت فى الورشة .

□ سألوه : هل تملك دليلا على وجودك هناك وقتها ؟

— قال : نعم .. وإذا لم تصدقونى اسألوا ابن اخت الزوجة القتيلة .. لقد حضر إلى الورشة وشاهدنى وتحدث معى .. بل إنه أعطانى «أمانة» لأحتفظ له بها عندى !

□ سألوه بلهفة : وما هى هذه الأمانة التى أعطاها لك ؟

— قال العامل : حقيبة .. بها قميص نوم !

□ □ □

عندما ألقى رجال المباحث القبض على ابن اخت الزوجة القتيلة انهار فى الحال واعترف بجريمته .. لقد فشل فى دراسته وفى حياته وأدمن تعاطى الحبوب المخدرة .. كان فى حاجة للنقود .. تناول بعض الحبوب المخدرة ثم ذهب فى الصباح إلى منزل خالته .. استقبلته المسكينة مرحبة وأسرعت تعد له الشاى .. لكن الشيطان لم يمهلها .. استل سكينا وأخذ يطعنها حتى سقطت فى بركة من الدماء وخمدت أنفاسها .

□ وعندما أخذت الطفلة الصغيرة تصرخ برعب : ماما .. ماذا تفعل بماما ؟



أسرع القاتل المجنون يضغط على عنق الطفلة البريئة .. حتى خنقها وخمدت أنفاسها هى الأخرى ..

□ قال القاتل وقفت أهتز من بشاعة الجريمة التى ارتكبتها يداى .. أسرعت بنزع الأساور الذهبية من يدى خالتى .. بحثت عن النقود فلم أجد سوى مبلغ بسيط .. فى طريقى لمغادرة المنزل عثرت على حقيبة بداخلها قميص نوم خالتى .. أخذتها دون تفكير .. غادرت المنزل مسرعا .. فى الطريق شعرت بميل للقىء .. ذهبت إلى صديقى العامل بالورشة .. طلبت منه أن يحتفظ بالحقيبة ثم أسرعت إلى منزلى .. حاولت أن أنام فلم أستطع .. تناولت بعض الحبوب المخدرة .. حتى فقدت الوعى .

□ □ □

كانت هذه هى أقوال القاتل ..

أما المستشار فؤاد الفقى رئيس محكمة الجنايات فقد قال فى نهاية المحاكمة : حكمت المحكمة بإعدام المتهم شنقا .. حتى الموت !



أظلمت الدنيا فى عينيهـا فلم تعد ترى إلا اليأس وكل المعـانى المتشائمة والأفكار والظنـون السوداء . كـانت قد عانـت كثيرا فى حياتها حتى تخيلت أنها نالت نصيبها من الهموم وكفى !

لكن الأيـام أوقعتهـا فى ورطـة لم تستطـع مقـاومتهـا وأضحت قليلـة المقاومة عديمة الحل.. ماذا تفعل بجن ينقلها فى عالم ملىء بالأشرار!

تنهـدت وهى تسير فى الطريـق إلى منزل العـرافـة العجوز المشهـورة.. وتمنت أن تجد الحل عندها.. بعد أن يئست من كل الحلول.

حقا ؟ هل تساعدها العرافة فى استعادة أموالها المسروقة؟

عاشت أحـاسيس الوحـدة منذ نعومـة أظافـرها.. فهى يتيمـة الأبوين عاشت وتـربت فى كنف عمتها العجوز التـى كانت تعاملهـا معاملة قـاسية حادة.. لكنهـا كانت تقـابل هذه المعـاملة رغم صغـر سنها بصبر شـديد.. وكانت تستغـرق فى مذاكرة دروسهـا وهى تعلم أن الحل الوحيد أمـامها أن تنجح فى دراستهـا وتكمل تعليمها وتتخـرج لتحصل على وظيفـة توفـر لها الاستقرار والأمان وتمكنها من أن تعيش حيـاتها فى منزلها بعيدا عن عمتها القاسية.

وأخـذت تنجح وتنتقل من سنة دراسيـة إلى أخـرى.. ومرت السنـوات





بسرعة حتى تخرجت وبسرعة عثرت على الوظيفة المناسبة: مدرّسة فى إحدى المدارس الابتدائية.. لكنها اكتشفت أن راتبها يكاد بالكاد يكفى تنقلاتها ومصاريف ملابسها وأنه لا أمل على الاطلاق فى أن يكون لها بيت خاص.

ولذلك كانت سعادتها عظيمة عندما علمت أن اسمها قد أدرج ضمن أسماء المدرسات اللائى تم اختيارهن للاعارة للعمل فى دولة الكويت.. ولم تصدق نفسها وهى تركب الطائرة.. أخيرا ستحصل على راتب كبير تدخر منه مايكفى لشراء شقة لها.

ولم تشعر بالغربة كثيرا.. فقد شعرت بالوحدة طوال عمرها.. كانت غريبة فى وطنها.. بلا أهل أو صديقات.. وهكذا مرت سنوات الغربة.. وعندما ركبت الطائرة عائدة إلى القاهرة بعد انتهاء إعارتها كانت تتحسس حقيبتها الصغيرة.. فى هذه الحقيبة خطاب من البنك يفيدها بأن رصيدها قد أصبح رقما بجواره ثلاثة أصفار.. أخيرا أصبحت من أصحاب الآلاف.. أخيرا ستشترى الشقة.

فى غرفة مظلمة لا يضيئها سوى أعواد البخور المشتعلة جلست باكية أمام العرافة العجوز تروى بقية حكايتها..

— قالت للعرافة : بعد أن عدت من الاعارة أخذت أبحث عن شقة مناسبة لأعيش فيها.. حتى عثرت على عمارة جديدة فى أطراف حى الخليفة بالقاهرة.. وذهبت لأجد أن صاحبة العمارة تطلب منى مبلغ ١٠ آلاف جنيه خلو رجل ورغم ضخامة المبلغ فقد وافقت أولا: لأننى بالفعل أصبحت امتلكه وثانيا :لأن الشقة التى كانت ماتزال تحت التشطيب كانت بالفعل شقة جميلة وواسعة.. تماما كما كانت أتخيلها فى أحلام يقظتى.. وفى اليوم التالى أسرعت إلى البنك واحضرت مبلغ العشرة آلاف جنيه وأعطيته لصاحبة العمارة بدون إيصال لأن خلو الرجل غير مشروع قانونا.. ووعدتنى صاحبة العمارة بتسليمى الشقة وكتابة العقد بعد شهر.. وانصرفت سعيدة بحسن حظى الذى أوقعنى فى هذه الشقة الجميلة.. ومرت أيام.. وذات يوم كنت أسير بجوار العمارة.. ودفعنى الشوق إلى الصعود إلى

الشقة لكى أستطلع عملية التشطيب وكانت المفاجأة أننى وجدت أنـه تم الانتهاء بـالفعل من تشطيب الشقة.. ولا إراديـا وضعت يدى على الزر.. لكن المفـاجأة الأعظم كانت عندما فتح بـاب الشقة ووجدت رجلا يطالعنى.

□ سألته بدهشة : من أنت ؟

— قال لى : من أنت ؟

□ عدت لأسأله : أنا صاحبة الشقة.

— رفع حاجبيـة فى دهشة وقال اعتقـد أن صاحب الشقة هـو الموجود داخلها وليس الذى على السلم!

وقبل أن أفيق من ذهـولى.. أخبرنى الـرجل أنـه استأجـر الشقـة منـذ أسبوع.. فأسرعت إلى صاحبة العمارة كالمجنونة.

— لكنى فوجئـت بها تقول لى . من أنت أنـا لا أعرفك ولم أخذ منـك أية نقود!

.. وهكذا أسقط فى يدى.. فأنا ياسيدتى لم أحصل منها على إيصال يفيد أنها تسلمت منى مبلغ العشرة آلاف جنيـه ولا جدوى من إبـلاغى للشرطة.. لكن بعـض أولاد الحلال أخبرونى بقـــدرتك على تحضير الأرواح والجان وقالوا لى إنك يمكن أن تساعدينى.

□قـالت لها العـرافـة العجـوز لقد صــدقـوا.. وسأعيـد إليك نقـودك الضائعة !

أشعلت العـرافـة العجـوز النـار فى البخـور وظلت تتمتم بعبـارات غير مفهومة وتصرخ حتى ارتعشت المدرسة المسكينة من الخوف.. وأخيرا.

□ قالت : لقـد أخبرنى أحد العفـاريت بأن موضـوعك سـهل .. ويمكنك الآن أن تذهبى إلى صاحبة العمارة وستعطيك نقودك.

— اعترضت المدرسة : لكنها تنكر أنها تعرفنى ؟

□ صرخت العرافة فيها : اذهبى .. قبل أن يغضب العفريت !

عـادت المدرسة إلى صـاحبـة العمارة غير مصـدقة.. لكـن ذهولها كـان عظيما عندمـا طرقت بـاب صاحبـة العمارة ففوجئت بها تفتح لها مـرحبة

هاشـة وبدون أن تتـكلم كانت صاحبة العمارة قد أحضرت لفافة.

— وقـالت لها إنى اعتذر لك .. وهـذه هى نقودك.. عشرة آلاف جنيـه كاملة !

هل هذا معقول ؟

كـانت المدرسة تحدث نفسهـا كـالمجنونـة فى طـريق عودتها إلى منـزل العرافة العجوز غير مصـدقة لما حدث.. لكن النقود فى يدها كـانت تؤكد أنها حقيقة.

وعندمـا دخلت حجرة العرافة العجـوز قالت لها بفرحة: سيـدتى.. لقد حـدث ماتـوقعتيـه وأعـادت لى صاحبـة العمارة نقـودى.. اطلبى أى شىء ياسيدتى فأنا مدينة لك باستعادة نقودى.

أشاحت العرافة بوجهها فى استياء.

□ وقالت للمدرسة أنا لا آتقـاضـى نقودا من أحد.. يكفينى أن أعيد لك حقك الضائع.

— توسلت المدرسة لكن يجب أن تتقبلى منى هدية بسيطة.

□ زمجرت العـرافـة : لن آخذ منك شيئـا.. بل فى الحقيقـة أنى سـوف أعطيك !

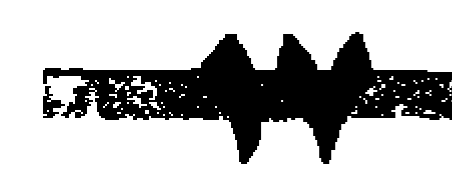
— قالت المدرسة بدهشـة تعطينى أكثر من أموالى التى قمت بإعادتها لى؟

□ قالت لها العرافة أنت إنسانـة بسيطة مخلصة حسنة النية.. سوف أساعدك مـرة أخرى.. اتركى هذه النقود هنا وتعـالى فى الصباح لتأخذيها.. سأقوم بتحضير روح أحد العفاريت ليبارك نقودك حتى لايحتال عليك أحد ويستولى عليها مرة أخرى.

— قـالت المدرسـة بحماس : اشكـرك من كل قلبى.. هـذه هى النقـود وسأعود لأخذها فى الصباح!

ظلت المدرسة تبكى بشدة وهى تروى للعقيـد علاء مقلد مفتش المباحث تفاصيل ماحدث فى الصباح.

— قالت له . ذهبت ياسيدى فى صباح اليوم التالى إلى العرافة.. وقبل أن





أطلب منها نقودى.

□ قالت لى : يا ابنتى أنى آسفة جدا.

— سألتها منزعجة · لماذا ؟

■ قالت العرافة   لقد حضر العفريت وأخذ نقودك إلى باطن الأرض لكى يباركها. لكنه رفض الصعود مرة أخرى!

قصة غريبة..

لكن الأغرب أن مفتش المباحث عندما ألقى ا القبض على العرافة العجوز وأحالها إلى النيابة قررت النيابة· الإفراج عنها!

ومـازالت المدرسـة تبكى نقـودهـا.. ومـازال العفـريت تحت الأرض . يرفض الصعود!



لا.. ليس هيتشكوك!

هيتشكوك نفسه لم يكن ليتخيل مثل هذه القصة المثيرة!

إنها قصة الفيلم المروع.. الذى لم يشهده متفرج واحد من رواد السينما!

إنها قصة بطل.. وراء الكاميرا.. ارتكب جريمة قتل لم يكتشفها أحد طوال عشر سنوات.. ولم يكن بامكان أحد أن يكتشفها.. لولا أن القاتل تكلم!

وهى قصة الفيلم المثير الذى دارت أحداثه فى إحدى دور السينما بعد انصراف المشاهدين.. وانتهى فى محكمة الجنايات!

يحتار المرء أى بداية يختارها ليروى قصة هذه الجريمة العجيبة

هل يبدأ بالمشهد الأخير والمحكمة تنطق بالقصاص الذى يستحقه القاتل؟ أم يبدأ من البداية الحقيقية كما حدثت فى «سيناريو» الحياة نفسها؟

لكن أى مؤلف أو كاتب لايستطيع أن يمنع قلمه من أن يجرى بالمشهد الأكثر إثارة.. وليكن!

خلت دار السينما الصغيرة فى حى المطرية من المشاهدين الذين انصرفوا من الحفلة المسائية سعداء بفيلم المغامرات الذى شاهدوه.. أغلق «شباك التذاكر».. انصرف عمال السينما ماعدا «ناجى» العامل المسئول عن إدارة أشرطة الأفلام.. دق باب غرفته فقام ليفتح. وعندما شاهد صديقه «على»

اتسع فمه بابتسامة مرحبة.. لكن عينيه ومضتا بنظرة شيطانية ماكرة.. هاهو قد جاء لحتفه بقدميه.. السينما خالية.. لا مشاهد ولا شاهد!

بعد أن جلس على.. تظاهر ناجى بأنه ذاهب لاعداد كوب شاى لصديقه.. لكنه ما إن وقف خلفه حتى امتدت يده لقطعة حديدية ضخمة.. أمسك بها.. رفعها فى الهواء.. ثم هوى بها لتسقط بقوة من الخلف على رأس صديقه على.. الذى سقط على كرسيه.. وتفجرت الدماء من رأسه كالنافورة.. توقفت أنفاسه.. ومات فى نفس اللحظة!

حاول ناجى أن يتغلب على انفعالاته.. توقف حتى هدأت أنفاسه الثائرة.. ثم أسرع يحمل جثة صديقه إلى سرداب فى قبو السينما لايعرفه أحد سواه.. وهناك قام بحفر حفرة.. ألقى بالجثة داخلها وظل يهيل التراب فوقها حتى عادت إلى طبيعتها.. وكأنها لم تعد مقبرة صديقه القتيل.

عاد القاتل إلى غرفته.. خلال دقائق كان قد أزال آثار الدماء وكل مايشير إلى الجريمة البشعة التى ارتكبها.. ثم قام بتغيير ملابسه.. نظف يديه.. ثم غادر السينما هادئا.. لم يذهب إلى منزله.. بل ذهب إلى منزل صديقه القتيل.. حيث استقبلته زوجة القتيل بالأحضان!

***

ذلك هو المشهد المثير .. أما القصة المثيرة فقد بدأت عندما تعرف ناجى العامل بالسينما منذ فترة إلى جاره الجديد على.. وسرعان ماتوطدت أواصر الصداقة بينهما.. ولم يكتشف الموظف البسيط الحال « على» أن سر اهتمام صديقه الجديد ناجى بتدعيم الصداقة بينهما.. هو أن الصديق الخائن كان قد وقع فى غرام زوجته!

وعندما وجد ناجى من زوجة جاره وصديقه «على» ترحيبا خفيا بدأ يتودد إليها أكثر.. ثم صارحها بأنه أحبها.. فاعترفت له الشيطانة بأنها تبادله الحب.. وأنها تكره زوجها!

هكذا نسج الشيطان حبال الخيانة.. بين الزوجة وصديق زوجها الذى بدأ يتردد عليها أثناء غياب زوجها الغافل.. لكن بعد فترة.. همس بعض



الجيران فى أذن الزوج متسـاءلين عن سبب تـردد صديقـه على منزلـه أثناء غيابه! وبدأ الزوج يراقب زوجته.. وعندما اكتشف العلاقة الخفية أسرع إلى نـاجى يطلب منه أن يبتعـد عنه وعن حيـاتـه الزوجيـة ويعلن إليه انتهـاء صداقتهما المزعومة!

لكن القصة لم تنته عند هذا الحد!

***

لم يستطع ناجى أن ينسى عشقه الحرام لزوجـة صديقه.. وبدأ يفكر فى الخلاص منه.. ليخلو له الجو مع زوجته!

وذات يوم اتصل به وطلب منـه أن يحضر إليه فى دار السينما بعد انتهاء العرض ليناقشه فى أمـر مهم وظل يلح عليه حتـى وافق مضطرا.. وعنـدما حضر.. قتله واخفى جثته فى حفرة بسرداب بالسينما!

واعترف ناجى لزوجة على بأنه قتل زوجها.. فكان كل مافعلته أن ذهبت فى اليوم التـالى إلى قسم الشرطة لتقدم بـلاغا تقول فيه أن زوجهـا خرج إلى عمله ولم يعد إلى منزله.

وبالطبـع لم تتهم الزوجـة الخائنة عشيقها.. ولم تكشـف سر الجريمة البشعة التى ارتكبها.. وعـادت لتواصل اللقاءات المحرمـة مع قاتل زوجها.. وظلت جثة الزوج فى السرداب داخل السينما!

لكن كـان لابد من مشهـد أخير.. والغـريب أن هـذا المشهد تأخـر عشر سنوات كاملة!

فقـد ظل اختفاء الـزوج لغـزا لم يكتشفه أحـد طـوال هذه السنـوات.. وخلالها كـان القاتل قد «زهق» مـن زوجة القتيل وبرد حبـه لها.. فاختفى من حياتها.. ومن البلد كله!

سـافر القاتل ليعمل فى العراق..

وعاش هنـاك مطمئنا إلى استحـالة أن يكشف أحد جـريمته بعـد مرور عشرة أعوام عليها.. واستحـالة أن يعثـر أحد على جثة داخل حفرة فى سرداب السينما!

لكن ماحدث كان أغرب من أن يصدقه.. القاتل نفسه!



فقد سهر ذات ليلة مع أحد زملائه العاملين معه بالعراق.. وأخذ يتناول الخمر حتى فقد السيطرة على نفسه.. وانطلق دون وعى يروى لزميله قصة الجريمة!

وعندما عاد الاثنان إلى مصر.. أسرع زميله إلى المباحث يروى قصة الاعتراف الذى تم تحت تأثير الخمر.. وهرع رجال المباحث إلى السينما فعثروا على الجثة.. أو بقاياها فى السرداب . وانهار القاتل واعترف بالتفصيل!

قضت محكمة الجنايات بمعاقبته بالأشغال الشاقة المؤبدة!

ترى .. ما رأى هيتشكوك فى أفلام الواقع؟

١





لم تكن مجرد بـلاغـات سرقــة عــاديــة تلك التى أثــارت اهتمام مفتش المباحث الضابط سيـد فريد.. صـحيح أن معظم السرقات حـدثت تقريبا فى عمارة واحـدة.. لكن الشـىء الغـريب الــذى لفت نظـر مفتش المبـاحث أن المجنى عليهم كانوا دائما فى سهـرة خارج المنزل وعندمـا عادوا اكتشفوا أن شقتهم قد تعرضت للسطو!

فكيف كان اللص المجهـول يعلم بغياب أصحاب الشقق وأنهم خـرجوا لقضـاء السـهرة؟؟

ولم يكن هذا التساؤل الوحيد.. فى هذه القضية الغريبة.

●●●

قــال ساكـن الشقة الأول وهــو مهنـدس شاب: تلقيت دعـوة من أحـد أصـدقائى لقضــاء السـهـرة فى أحد الملاهى الليليــة.. وبـالفعل خرجنـا مع صديقنـا وكانت سهرة طيبة للغـاية رغم أن صديقى تلقى مكالمة تليفـونية سخيفة فى الملهى عن تعرض زوجته لحادث تصادم.

وعندما أسرع إلى المنـزل اكتشف انها خدعة وعاد بعـد أن أثارت المكالمة ذعرنا، لنكمل السـهرة، لكننا عندمـا عدنا إلى المنزل اكتشفنا ان لصا مجهولا تسلل إليه وسرق مجوهـرات زوجتى وبعض مدخراتنا التى كنـا نضعها فى

دولاب بحجرة النوم!

وبعد أيـام وقع الحادث الثانى.. وكـان الغريب أنــه حدث فى شقة أخـرى بنفس العمارة. لكن الأغرب أن أصحـاب الشقة كانـوا أيضا فى الوقت الذى تمت فيه السرقة فى سهرة خارج المنزل!

●●●

قال صـاحب الشقـة الثانيـة وهو مـدرس: ان ظروف عملى صبـاحا فى المدرسة وفى تدريس الـدروس الخصوصية مساء كـانت تمنعنى من قضاء إجازتى الاسبـوعية فى الراحة. ولـذلك ولإلحاح زوجتى المستمر فى الخروج انتهزت فـرصة الـدعوة التى وجهها لى أحد أصدقـائى لمشاهـدة مسرحية جديدة وطلبت من زوجتى ان تستعد لهذه السهرة الفنية. وفى الموعد المحدد كـان صديقى ينتظـرنـا على باب المسرح، وكـانت بـالفعل مسرحية جيـدة، وقضينا ليلة ممتعة، لكنها انتهت بالحزن عندما عدنا إلى الشقة لنكتشف أن بعض اللصوص قد تسللوا اليها وسرقوا تحويشة العمر!

● سأله مفتش المباحث: ألم يحدث شىء غير عـادى خلال مشاهدتكم للمسرحية؟

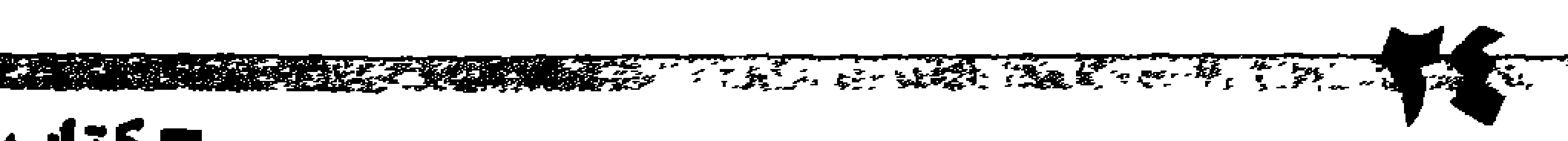
— قـال المدرس ببراءة: لاشىء سـوى اعجاب الجمهـور بأداء أبطـال المسرحية.. لكن.. نعم لقد تذكرت.. لقد تعرض صديقى لمقلب سخيف!

●سأله مفتش المباحث: وما هو؟

— قـال المدرس: خـلال الاستراحة بعـد الفصل الأول نهض صـديقى عندمـا جاء أحـد العاملين بـالمسرح ليخبره أن زوجته قـد تعرضت لحادث سيارة، فـاعتذر منصرفـا لكنه عـاد بعد انتهـاء الفصل الثانى ليخبرنـا أنه تعرض لمزاح سخيف من مجهول.. وأن زوجته سليمة تماما!

●●●

لم تكن اذن مصادفـة.. ان يكون جميع الضحـايا فى نفس العمارة.. ولم تكن مصـادفة أن يكـونوا جميعـا خلال ارتكـاب السرقة على دعـوة لقضاء السهرة خـارج المنزل من صديـق للزوج، وأن يتعرض هـذا الصديق لمزاح سخيف خلال السهرة فيعتذر ثم يعود بعد فترة..





ولم تكن مصادفة ان هذا الصديق.. كان يسكن فى العمارة.. حيث مازالت أسرته تعيش.

ولم يكن صعبا على الضابط سيد فريد مفتش المباحث أن يخمن أن هذا الصديق.. وراء لغز هذه السرقات!

●●●

وجاءت تجريات رجال المباحث لتؤكد صدق تخمين مفتش المباحث، فقد تبين أن هذا الصديق شاب فى الثلاثين تخرج فى الجامعة بعد أن تعثر فى دراسته عدة سنوات. وبعد أن تخرج بدأت تحدث المشاكل بينه وبين والده التاجر المعروف الذى يسكن بنفس العمارة. وكان سبب هذه المشاكل أن الابن قد وقع فى غرام احدى الراقصات واحبها وأراد أن يتزوجها. لكن الأب عارض اتمام هذه الزيجة بشدة. وهكذا احتدت الخلافات بين التاجر وابنه الشاب. وعلى أثره غادر الشاب منزل والده بلا رجعة. وأشيع انه تزوج من الراقصة التى أحبها وعاش معها فى منزل بمنطقة المعادى. حيث لم يعد أحد يسمع عنه شيئا!

وطلب الضابط سيد فريد من بعض رجاله أن يراقبوا هذا الشاب دون أن يشعر.. وسرعان ماأكدت المراقبة بعد أيام أن هذا الشاب.. ابن التاجر المعروف.. هو اللص المجهول!

●●●

لم يكن رجال المباحث فى حاجة إلى جهد كبير ليعترف الشاب لهم بأنه اللص الذى يطاردونه. فقد عثروا فى منزله حيث يعيش مع زوجته الراقصة التى اعتزلت الرقص بعد زواجهما على مسدس تبين انه مسروق من شقة أحد الجيران فى منزل والده التاجر!

وانهار الشاب واعترف بسهولة وروى قصة انحرافه وضياعه فقال: أبى هو السبب.. انه لم يتعاطف معى ولم يفهم اننى انسان لى قلب يشعر وينبض ويحب. وأن من حقى أن أحب من أريد وأن أتزوج من أحب.. وعبثا حاولت أن أجعله يفهم اننى لم اعد طفلا. واننى انهيت دراستى الجامعية وأصبحت رجلا ومن حقى أن أبدأ طريقى ومن الطبيعى أن افكر فى الزواج

والاستقرار.. وفى البداية طلب منى أبى التروى والانتظار حتى اعثر على عمل.. لكنى فيما بعد اكتشفت أن ذلك مجرد حجة واهية للتأجيل والمالطة وانه يعترض على كون زوجتى القادمة راقصة. رغم اننى أخبرته انها سوف تعتزل الرقص الذى هو فن من الفنون ولاعيب فيه.. وفى النهاية وعندما أصر على موقفه الرافض لم أجد أمامى الا مغادرة المنزل والزواج بمن أحببت دون انتظار موافقة أو مباركة أبى!.

●●●

ومضى الشاب المتهم يكمل قصته فقال: لكن الامور لم تمض فى سهولة ويسر. فلم أكن أدرك ان الحياة صعبة وان البيت الجديد يحتاج إلى مصروفات لا قبل لى بها خاصة وأن زوجتى اعتزلت عملها. واختفت أيام السعادة وبدأت المشاكل تدق أبواب البيت. وبدأت أعانى من قلة النقود وضجر زوجتى من بطالتى والحاحها المستمر فى ان تعود للرقص من جديد. وهكذا عرفت طريق المخدرات لانسى فيها مشاكلى.. لكن المخدرات تحولت إلى مشكلة جديدة وأصبح على أن أبحث عن نقود لأشتريها.. وهكذا زين لى الشيطان أن أسرق.. وبدأت بأصدقائى ومعارفى بسكان المنزل الذى كنت أعيش فيه مع أبى.. وابتكرت طريقة جديدة.. فكنت أدعو الواحد منهم وزوجته إلى قضاء السهرة فى الخارج.. وأنتهز الفرصة لتدبير مكالمة تليفونية أزعم فيها أن زوجتى أصيبت فى حادث واعتذر منصرفا بعد أن أكون قد غافلته واستوليت على مفتاح منزله، وأسرع إلى المنزل لأسرق ماخف وزنه وغلا ثمنه.. ثم أعود مرة أخرى إلى الضحية معتذرا بأننى تعرضت لمزاح سخيف.. وأعيد مفتاح شقته دون أن يشعر..!

وتأمر النيابة بحبس اللص.. الظريف..!



كانت سعادة الشاب مدحت أكبر من أن توصف. وكانت فرحته أعظم من أن يخفيها بل انه فى الحقيقة كان لايريد ان يخفى سعادته وفرحته. بل ان يشاركه العالم هذه الفرحة وتلك السعادة.

كان قد التقط انفاسه أخيرا وقرر ان يقوم بجولة الوداع فى العاصمة الايطالية المزدحمة «روما». وهذه المرة سيجوب شوارع روما الجديدة والقديمة كسائح ثرى. يبعثر النقود والبقشيش فى كل مكان. بعد أن شهدت هذه الشوارع كفاحه طوال العامين الماضيين وتشرده فى الأيام الأولى التى وصل فيها إلى روما.. شابا بائسا.. فشل فى دراسته بكلية الهندسة بالقاهرة.. فسافر إلى إيطاليا بحثا عن مستقبل أفضل.

وعانى مدحت كثيرا فى أيامه الأولى بروما.. عانى من احساس الغربة وصعوبة التفاهم باللغة الايطالية.. خاصة بعد أن نفدت النقود القليلة التى كان يحملها معه.. واضطر إلى أن ينام على الأرصفة وفى الحدائق العامة المنتشرة فى العاصمة الايطالية مع مئات من شباب الهيبز الذين يجوبون بلاد الله وينامون فى أى مكان.. لكن مدحت كان يختلف عنهم.. فقد كان اصراره عظيما على أن يصنع شيئا يحقق به طموحه واحلامه التى كانت تناطح السحاب.

ولم تستمر أيـام المعاناة طـويلا.. وسرعان مـاعثر على عمل بسيط فى أحد الفنادق الصغيرة.. ورغم أنـه كان يظل منذ طلوع النهـار حتى الغـروب غـارقا فى بحـر من الماء والصـابـون. يغسل آلاف الأطباق والأكواب والملاعق..

إلا أنــه كان سعيـدا بهذه الوظيفـة التى أنهت أيـام التشرد ووفرت لـه الطعام والمبيت مجانا.. بالاضافة طبعا إلى راتبه.

وبدأت أموره تتحسن.. عندما أعجب مـدير الفندق باخلاصه فى العمل فقام بترقيته إلى وظيفة جرسون.. وكـانت هذه الوظيفة فاتحة خير عليه .. فقد كـان يحصل فى نهاية كل يوم على بقشيش يساوى راتب شهـر كامل أيام كان يعمل فى غسل الاطباق..

وعاش مـدحت عـامين كاملين يدخـر كل ليرة يكسبهـا.. كان يـريد أن يعود إلى مصر ليبدأ مشروعا تجاريا بسيطا.. يستطيع من خلاله أن يحقق نفسه وطموحاته الكبيرة.

وفى نهايـة العامين وبعـد أن تمكن من ادخـار مبلغ لابأس به قـرر ان يعود إلى مصر. بعد أن يقوم بجولة سياحيـة فى روما.. جولة يشعر خلالها بأحاسيس السائح الثرى.. تكون بمثابة احتفال خاص بالمبلغ الكبير الذى سيبدأ به حياته العملية فى مصر.

لكن الجولة السياحية.. كانـت ـ دون أن يدرى ـ نقطة تحول خطير فى حياة مدحت.. من شاب بسيط حالم.. إلى لص خطير ماكر.

جـــولـة

والغـريب ان الجولة التى قـرر مدحت أن يقـوم بها.. لم تتم.. أو لنقل انها ماأن بدأت حتى انتهت.

عندما خرج فى الصباح الباكـر يحمل حقيبته إلى ميدان فالانتش تناهى إلى سمعه أصوات ضحكـات. والتفت ليجد مجموعة مـن الشباب والفتيات يجرون فى مرح خلف بعضـهم.. ثم توقفت احداهن أمـامه بحركة مسرحية وانحنت.



— وقالت بمرح: صباح الخير.. يالورد.

أراد أن يجاريها بمرح فرد قائلا: صباح الخير ياكونتيسة.

وسرعان ماتحلق حوله بقية الشباب والفتيات وقدم كل واحد منهم نفسه اليه.. وسرعان ماتم التعارف ورحب مدحت بأن يرافقهم فى جولة إلى بعض المعالم الأثرية فى سيارة ميكروباص غريبة الشكل كان أحدهم يمتلكها.

وشعر مدحت بسعادة وخفة وسط الفتيان والفتيات الايطاليات المرحات.. وعندما قدم له احدهم كأسا فى السيارة تناوله شاكرا.. وبعدها بدقيقة واحدة قدمت له حسناء إيطالية كوبا به بعض العصير.. فأخذه منها مبتسما.

ولم تمض سوى دقائق حتى كان قد فقد وعيه.

وعندما استيقظ وجد نفسه ملقى على أحد الأرصفة.. وقد اختفت حقيبته.. وصرخ فى ألم.. صرخة حيوان جريح.. بعد ان ضاعت تحويشة العامين الماضيين.. وعاد مفلسا لايملك فلسا واحدا.

وعندما أسرع إلى قسم الشرطة.. وروى القصة وهو يبكى.

قال له رجل الشرطة الايطالى: يامسكين.. لقد وضعوا لك مخدرا فى العصير.

فى هذا اليوم.. لم يكن مدحت يملك سوى تذكرة العودة بالطائرة إلى القاهرة.. فى هذا اليوم.. قرر مدحت أن ينتقم لنفسه.. وأن يتحول إلى لص.. يسرق الجميع.

وقبل أن يركب الطائرة عائدا إلى القاهرة اشترى بما تبقى معه عدة زجاجات من المادة المخدرة.. ليرتكب أول جريمة فى حياته.. فور وصوله إلى مطار القاهرة.

خرج من المطار يحمل الحقيبة الفارغة التى اخفى داخلها زجاجات المخدر.. ليشترى مجموعة من علب العصير من أحد أكشاك المرطبات أمام المطار.. ويعود مرة أخرى إلى التواليت وبطريقة متقنة يقوم بوضع نقاط من المخدر داخل كل علبة عصير.. ويعيد اغلاقها بمهارة مرة أخرى.

سرقة

ويخرج مدحت من المطار. يجد تاكسيا يحمل بعض الركاب فيشير إلى السائق ويستوقفه ويسأله عن وجهته ثم يندس إلى داخل التاكسي..

وبعد دقائق بدأ في إدارة حوار مع الركاب حول السفر إلى الخارج ومشاعر الغربة والعوة إلى الوطن.. ويندمج الجميع في الحديث

وببساطة يفتح مدحت حقيبته بعد أن تكون السيارة قد ابتعدت عن المطار وسار قائدها في الطريق الصحراوى المؤدى إلى مدينة الاسماعيلية.. ويدعو مدحت ركاب التاكسي إلى تناول العصير.. فيأخذ كل راكب علبة.. يتناولها وهو يشكر هذا الشاب الظريف الكريم.. لكن بعد دقائق يسقط الجميع في غيبوبة. وتتثاقل عينا السائق ويشعر بالرغبة في النوم.. فيتوقف بالسيارة إلى جانب الطريق.

وبسرعة.. يقوم مدحت بتفتيش جيوب وحقائب ركاب التاكسي.. وبمنتهى الجرأة يحمل كل راكب إلى خارج السيارة ويلقيه إلى جوار الصحراء.. وأخيرا «ينزع» السائق الفاقد الوعي من مكانه ويلقى به مع الركاب.

وينطلق مدحت بالسيارة.. والنقود والامتعة التي سرقها في لحظات خاطفة . ليبدأ رحلة طويلة في عالم الجريمة

بحث

وتبدأ أجهزة الشرطة في تلقى عشرات البلاغات عن لص شاب أنيق تخصص في سرقة النقود والسيارات.. بطريقة واحدة.. هى أن يتعرف إلى الضحية ويقدم له وهو يبتسم كوبا من العصير.. ماإن يتناوله الضحية حتى يفقد الوعي.. ويستيقظ ليكتشف اختفاء نقوده أو سيارته.. واختفاء اللص الشاب الظريف.

وتتعدد سرقات وحوادث مدحت.. وفي كل مرة كانت قدرته على

التصرف فى المواقف الحرجة تـزداد ومهارته فى عالم الجريمـة تبزغ أكثر..
ففى احدى المرات سرق سيـارة موظف شـاب وبعد أيام تـوقف فى احدى محطات البنزين ليملأها بالوقود.. وأثناء انتظاره فوجىء برجل يصرخ.

— سيارتى.. امسكوا اللص.

والتفت مدحت ليجد أن الموظف صاحب السيـارة كان يسير بالصدفة بجوار محطة البنزين وشاهده وهو يجلس فى سيارته المسروقة.

ويتجمع عمال محطـة البنزين على صراخ الموظـف لكن مدحت لايفقـد رباطة جأشه.. ويتمكن بلباقة شـديدة من اقناع العمال بأن الموظف ماهو إلا لص ماهر يحاول بهذه الطريقة ان يسرق سيارته.

وهكذا يتركه عمال المحطة ينصرف فى سلام . ثم ينقضون على الموظف المسكين يوسعونه ضربا وركلا.. اعتقادا منهم بأنه اللص الحقيقى.

جــــرأة

بل ان جرأة اللـص الظريف تبلغ ذروتها عنـدما ينتحل صفة ضـابط شرطة ويقوم بتزوير بطاقة ضابط شرطة باسم ضابط حقيقى لكنه يضع صورته فى البطاقة.. ثم يقوم بتزوير خطاب رسمى يرسله إلى مديرية أمن الاسكندريـة يطلب فيه من المسئولين بـالمديرية مساعـدته فى القبض على أحـد الاشخـاص.. والغريـب أن الحيلة انطلت وقـام اثنـان من الضبـاط بمرافقتـه إلى منزل الشخص المطلـوب.. وتمكن مدحت مـن الاستيلاء على مبلغ ١٤ألف جنيه منه.. ثم فر هاربا.

لكن نهاية اللص الظريف تأتى على يد كهربائى.

وكان مـدحت قد تعرف إلى كهـربائى شاب وعرض عليـه شراء سيارة مرسيدس بمبلغ٢٨ألف جنيه..

وعنـدما حضر الكهـربـائى فى الموعـد وهو يحمل المبلغ.. قـام مـدحت بتخديره بالعصير المخدر.. وسرق منه النقود.. وانطلق هاربا بالسيارة.

ويسرع الكهربائى بابلاغ رئيس مباحث القاهرة وقتها.



وتمضى عدة أيام حتى تكشف التحريات أن اللص الظريف يختفى فى وكر عبارة عن حجرة مهجورة بمدينة السلام ويقوم رجال الشرطة بمداهمة وكر اللص الظريف.. ويلقون القبض عليه.. ويعثرون معه على مبلغ ٢٥ألف جنيه وكمية من المجوهرات وعدد كبير من البطاقات الشخصية وتراخيص القيادة. وأيضا زجاجات المخدر التى كان يستخدمها فى الايقاع بضحاياه.





كان جميع نزلاء الفندق يعرفون الدكتور « محسن ».. ولا يعرفونه !

كانوا يعـرفون أنه ذلك الطبيب الشاب الوسيم الذى أقـام فى الفندق منذ أسابيع .

كان قد جاء إلى العاصمة لشراء بعـض الاجهزة الطبية الخاصة بعيادته التى قـال انها فى مدينـة الاسكنـدرية.. ومنـذ اليوم الأول لـوصـوله حـاز الدكتور محسن اعجـاب نزلاء الفندق ورضـاء العاملين فيه.. فقـد كان شـابا هـادئا بحق.. دمث الاخلاق.. بشوش الوجـه. ورغم غرابة أطواره، ورغم انه كـان يغادر الفنـدق فى الصباح فـلا يعود إليـه إلا مع حلول الظـلام إلا أن الجميع احبوه واحترموه .

ولذلك عندما وقع الحادث الذى أصبـح محورأحاديث نزلاء الفندق كان الدكتور محسن قد أصبح اسمه يتردد على كل لسان ..

وكـان هـذا الحادث هو الفصل الأخير فى قصـة الـدكتـور محسن.. أو المريض حسونة.. الهارب من مستشفى الأمراض العقلية .

فقـد استيقظ نـزلاء الفنـدق فى تلك الليلـة على صرخـات أحـدهم يطلب النجـدة.. وحـدث هـرج ومـرج..واسرع الجميع نحـو مصـدر الصرخـات ليكتشفوا انها صـادرة من غرفة تاجـر عجوز كان قـد وصل مع زوجته إلى

الفندق فى صباح نفس اليوم.. كان الرجل يصرخ مستغيثا فى ذعر وهو يشير إلى زوجتــه الراقدة فى فراش الموت وقـد شحب وجهها وانقطعت انفــاسها وتقلصت عضــلات وجهها وكـانت تواجـه الموت وأخذ يصرخ طالبا العون لزوجته والاتصال بالاسعاف .

— قال أحد الرواد بسرعة: ولماذا الاسعاف ولدينا طبيب فى الفندق ؟

● قال آخر :نعم أسرعوا باحضار الدكتور محسن .

وبـالفعل اسرع بعضهم يدق بـاب الـدكتـور محسن، الذى مـا أن علم بالخبر حتى غـادر غرفته مسرعا إلى غـرفة التاجر وهنـاك افسح له الجميع الطريق ووقفـوا ينظرون إليه فى اعجـاب وانبهار وهو يمسك بيـد المريضة العجـوز ويتحسس دقات قلبهـا بالسماعـة الطبيـة التى احضرها معـه ثم يستدير إلى زوجها فى غضب ..

● وصرخ فيه: هل تريد أن تقتل زوجتك ؟

وقف التاجر المسكين يرتعش فى فزع دون أن يقدر على الكلام.

فعاد الـدكتور محســن يلومه قـائلا: كيف تنتظر حتـى تسوء حـالتها هكذا.. لقد أصيبت بنـوبة قلبية.. وعليك أن تسرع الآن باحضـــار هذا الدواء لها من اقرب صيدلية .

فـانطلق الرجل بسرعـة بينما تجمع بقيـة رواد الفندق حـول الدكتـور محسن. وقد أثـر فيهم أن يشاهدوه غاضبـا لأول مرة.. وما أن عاد التـاجر بالــدواء وأعطاه لزوجتــه، وما هى إلا دقـائق حتى فتحت عينيها بضعف.. وسرعان ما انتظم تنفسها وعادت إلى وعيها ..

وغادر الدكتور محسن غرفة المريضة محاطا بكلمات الشكر والاعجاب من رواد الفنـدق، تقديـرا لمهارتــه الطبية واعجـابا بشهـامته بعـد أن انقذ العجوز من الموت .

وفى تلك الليلة أصبح الدكتور محسن بطل الفندق بلا منازع .

●●●

ومنــذ حادث العجـوز زوجـة التاجـر أصبح الـدكتور محسن أشهـر شخصيــات الفنـدق ومحط اهتمام واعجــاب الجميع، الـذين أصبحــوا

يحاولون التقرب إليـه ومصادقته . ومن ناحيتـه لم يظهر أى ضيق أو تبرم بذلـك ..بل كان يستمع فى اهتمام للنـزيل الذى يشكـو من آلام الرومـاتيزم وينصحه بتناول نوع معين من الـدواء . ويصغى بصبر للنزيلة التى تشكو له من سـوء الهضم وينصحها بتنـاول أنواع محددة من الاطعمـة .. وهكذا أصبح الدكتور محسن المستشار الطبى لكل نزلاء الفندق !

ولذلك عندما دق الدكتور محسن ذات ليلـة باب غرفة التاجر .. استقبله الآخير بترحـاب واضح ودعـاه فى حماس للـدخـول وتنـاول الطعـام ومع زوجته التى تحسنت صحتها على يدى الدكتور محسن .

لكن الدكتور محسن اعتذر: لابد أن أنام مبكرا هذه الليلة.. فسوف أقوم بجراحة هامة فى أحد المستشفيات الكبرى ..

— قاطعه التاجر: جراحة موفقة إن شاء الله يا دكتور.. فلا يوجد طبيب أمهر منك !

رد الـدكتـور محسن فى تـواضـع: اشكــرك.. لكنى اطلب منك خـدمـة بسيطة.. لقـد شاهـدت فى غرفتك كاميرا تصـوير فيـديو.. واستأذنك فى أن تقرضها لى غدا حتى اقوم بتصوير هذه الجراحة الهامة .

أسرع التاجر باحضار الكاميرا واعطاها للدكتور محسن .

— وقـال لـه :لى الشرف أن تقـوم بتصـويـر العمليـة الجراحيـة التى ستجريها بـالكاميرا التى امتلكها.. انها رهن مشيئتك يا دكتـور.. وهذا أقل ما يجب فلا أعرف كيف أوفيك حقك .

رد الدكتور محسن: لا عليك.. سوف اعيد إليك الكاميرا غدا واشكرك .

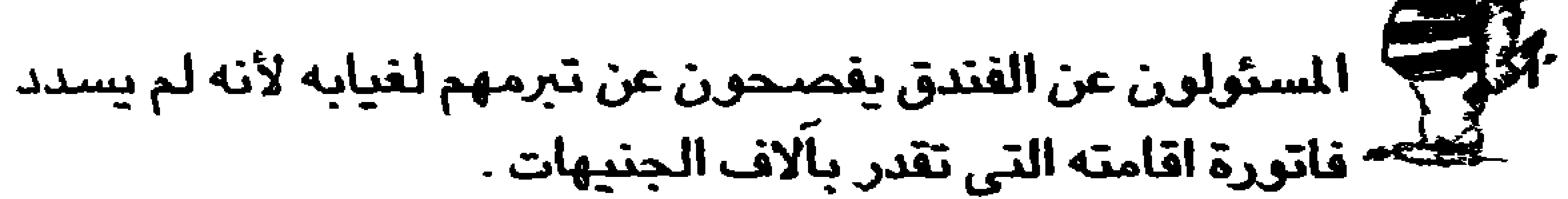
— التاجر : لا شكر على واجب ..

وانصرف الـدكتور محسن وهـو يحمل كـاميرا الفيـديو.. لكنـه لم يقم باعادتها فى اليوم التالى.. ولا فى الأيام التالية !

أعادها.. رجال الشرطة !

●●●

عندمـا اختفى الدكتور محســن فجأة من الفندق دون أن يترك خبرا عن وجهتـه..أصيب الجميع بـالحيرة.. وانتظـروا عـودتـه.. لكن عنـدمـا بـدأ



المسئولون عن الفندق يفصحون عن تبرمهم لغيابه لأنه لم يسدد فاتورة اقامته التى تقدر بآلاف الجنيهات .

ساعتها ادرك التاجر ما حدث.

— وصرخ بلوعة : آه.. لقد اخذ معه أيضا كاميرا الفيديو !

وهكذا تم ابلاغ الشرطة بأوصاف الدكتور محسن الذى لم يترك فى غرفته ما يشير إلى عنوانه أو حقيقة شخصيته .

وكم كانت مفاجأة نزلاء الفندق كبيرة عندما حضر أحد ضباط المباحث ذات صباح ليعلن الخبر على الجميع .

● ان الدكتور محسن ..ليس طبيبا !

وقبل أن يفيق الجميع من دهشتهم ..

●أكمل الضابط قائلا: بل هو مريض هارب.. من مستشفى الأمراض العقلية !

●●●

فى النيابة وقف محسن يواجه المحقق الذى واجهه بدوره بالمعلومات التى حصل عليها رجال المباحث بعد أن تم القبض عليه فى فندق آخر يحاول تكرار نفس العملية ..

ان اسمه «حسونة » وليس «محسن » وهو مريض هارب من مستشفى الأمراض العقلية حيث قضى عدة سنوات بعد اتهامه بالاحتيال فى بعض القضايا.. وفى المستشفى تعلم الكثير عن الطب والأدوية والأمراض.. ثم هرب ليمثل دور الطبيب الذى اداه ببراعة خدعت ضحاياه ..

وكان قرار النيابة : اعادة الدكتور محسن.. أو حسونة مرة أخرى إلى مستشفى المجانين !





إنت قتلت ابنتى!

كالمجنون أخذ يضرب فى الشارع على غير هدى والغيظ والغضب يلتهمان قلبه ومشاعره. وكأنها النار قد تسللت الى عقله وصدره. فأصبحا مثل حريقين بلا مياه تطفئهما.

ابنتى؟

ابنتى الصغيرة؟ طفلة الأمس التى مازلت اتذكرها تحبو وتمشى فتتعثر فى مشيها. هذه الوردة الخجولة التى لم يكن عالمها يزيد على مساحة جدران البيت؟

ابنتى؟

خانت براءتها وخانت شيخوختى ومرغت كرامتى فى الوحل؟

والله لأقتلها شر قتلة.. وأغسل عارى بيدى؟

هكذا كان العجوز (مسعود) يحدث نفسه وهو هائم على و جهه فى الطرقات. بعد أن أطاحت وشاية «أبوسريع» بالبقية الباقية من عقله.. وهكذا اتخذ قراره بأن يقتل الانسانة الوحيدة التى يعيش من أجلها. والتى تحمَّل من أجلها الكثير..

كان العجوز المسكين قد فقد زوجته منذ سنوات طويلة. كانت امرأة ضعيفة البنية متهالكة. لفظت أنفاسها بعد أيام من انجابها ابنته الوحيدة

«سلمى». وتركت الرجل لأحزانه وحيرته وصعدت روحها الى بارئها واستراحت!

وكم عانى وحده من أجل الطفلة الرضيع التى أصبحت يتيمة الأم بعد أسبوع واحد من ولادتها. لكن الرجل كان قد دفن حزنه على رحيل زوجته. ليحتفظ بما تبقى من قوته وشجاعته ليرعى الطفلة الرضيع. كان يسهر الليل يعد لها اللبن. ويحملها على ذراعيه. ويحتضنها الى صدره. يحايلها ويهدهدها. حتى تكف عن الصراخ والبكاء. وتأكل وتنام.

هكذا أصبح «مسعود» لسلمى.. الأب والأم معا.

ورغم أن جيرانه بعد فترة حاولوا اقناعه بأن يتزوج مرة أخرى ليجد امرأة تشرف على تربية طفلته اليتيمة إلا أن الرجل كان يرفض بإصرار وعناد عجيبين.. وكان يغلق بابه على نفسه وعلى طفلته. يظل بالساعات جالسا الى جوار فراشها يرقبها وهى نائمة مثل ملاك صغير.. تنحدر دموعه فى صمت!

نعم رفض أن يتزوج.. فقد كان يحب امرأته الراحلة حبا جارفا. ولم يكن يتخيل أنه قد تبقى لديه من المشاعر ما يكفى امرأة أخرى.

ومن ناحية أخرى فقد كان يقول لكل من ينصحه بالزواج مرة أخرى. أنه لا يريد إحضار «زوجة أب» قد تسىء معاملة طفلته سلمى فى يوم من الأيام.

هكذا كان الرجل البسيط.. لم يكن يحب أحدا فى الدنيا أكثر من زوجته الراحلة.. وبعد رحيلها.. تحول كل هذا الحب.. بالاضافة الى مشاعر الأبوة... الى ابنته الوحيدة..

هكذا كان حبه لابنته... مضاعفا

ومرت السنوات بالعجوز وابنته الوحيدة..

تعود الناس على انعزالهما .. وتعودوا على مشاهدة العجوز وهو يعود من عمله كل يوم يحمل لابنته ما يستطيع من طعام وشراب وفاكهة.. ثم يغلق خلفه الباب.. ويسمع الجيران صوت الرجل وضحكات ابنته البريئة وهو يطلب منها أن تأكل فتتوسل اليه أن يهتم بنفسه أولا!



كانت «سلمى» قد كبرت وأصبحت صبية يافعة.. لكن الله حباها بالصحة والحيوية التى حرمت أمها المريضة الراحلة منها.. كان وجهها الجميل متوردا كأنه فاكهة طازجة فى «عز موسم» الفاكهة.. وكان شعرها الأسود ينسدل حول هذا الوجه فيزيده جمالا على جمال.

— كانت جميلة.. وكانت بريئة لكن جمالها كان ظاهرا أكثر من براءتها.

ولهذا قتلها والدها!

وكان «مسعود» يعتز أكثر ما يعتز بسلوك ابنته النظيف. فقد رباها على الأخلاق القويمة الحميدة وعلمها كيف تكون جادة مستقيمة وكان يفاخر بين أصدقائه القليلين الذين تجمعهم به أحيانا جلسة المقهى الصغير بالحى. بأن ابنته رغم جمالها.. أشبه ما تكون بالرجل. فهى اذا سارت. لم تتثن أو تتمايل مثل البنات. بل كانت تدب الأرض بخشونة وكأنها جندى فى طريقه الى المعركة.

وكان يفاخر الجميع بأن ابنته الصبية الحسناء هى أطهر فتيات الحى وأكثرهن خجلا وتمسكا بالتقاليد والأخلاق.. وكان الرجال يستقبلون حديثه هذا عن ابنته بالاعجاب ويرددون ما يقوله..

حتى جاء يوم مشؤوم..

وكالعادة بعد أن جلس وسط أصدقائه بالمقهى.. وكالعادة بدأ يتحدث بفخر عن ابنته.. لكنه كاد يتوقف وسط الحديث... عندما لمح فى عيون الرجال بعض نظرات السخرية!

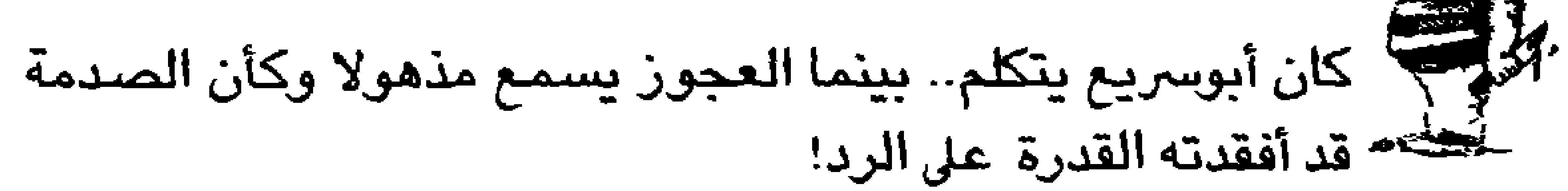
وعندما غادر المقهى دون أن يكمل السهرة سار بحزن مع «أبوسريع» الذى أصر على أن يوصله الى منزله.

كان مسعود حزينا وحائرا بسبب نظرات السخرية التى شاهدها فى عيون أصدقائه.

ودون أن يسأل.. بدأ أبو سريع يشرح له الأمر..

وليته لم يتكلم!

مضى أبوسريع يحدث مسعود عن مكانته بين أهل الحى، وعن حسن أخلاقه وتمسكه بالطريق المستقيم وفجأة انعطف الى الحديث عن سلمى..



كان أبوسريع يتكلم.. بينما العجوز يسمع مذهولا وكأن الصدمة قد أفقدته القدرة على الرد!

قال لـه أبوسريع: انه لولا صـداقته الحميمة، ولولا أن واجب الصـداقة يدفعه لأن يصارحه، ماكان قد اقترب من هذا الموضوع الحساس.. وقال له إن حبه العميق لابنته أعماه عن حقيقـة تصرفاتها.. وانها ليست الملاك الذى يتحدث عنـه.. وأن ابنته تغادر المنـزل بعد دقائق من انصرافـه الى عمله فى الصباح.. ولا تعـود إلا قبل دقائق من مـوعد وصولـه الى البيت فى الغروب.. وانها تعـرفت على بعض الفتيات مـن سيئات السمعـة.. وأنها تتردد معهن على الفنادق.. وأماكن اللهو!

لكن القنبلـة التى سقطت على رأس العجوز دمـرته تماما... كـانت تلك الكلمات المسمومة التى بثها أبوسريع فى أذنه قبل أن يتركه!

قال لـه أبوسريـع الحقيقة المؤسفة... يـامسعود الحقيقـة التى يعـرفها الجميع ماعداك.. ان ابنتك.. لم تعد عذراء!

وعنـدمـا وصـل الى البيت.. كـان قـد تحول الى شبـه حطـام يتحـرك بصعوبة.. وكأن الشيطان قد قيد قدميه بسلاسل الى الأرض!

وجدها نائمة كالملاك فى فراشـها!

كانت لحظـات مجنونة.. ها هى وحيدتـه التى خانته ومرغـت كرامته فى الوحل.. وعليـه أن يتخلص منها بنفسـه.. أسرع الى المطبخ.. أحضر سكينا حـادا.. واقترب من فراشهـا وضوء الحجـرة يتراقص فى جنون.. رفع يـده بـالسكين عـاليا.. ارتعش بعنف وارتجفـت يداه.. كأنـه شيطـان رجيم... هبطت يده بالسكين لتستقر فى قلب وحيدته.. ابنته المحبوبة.

هكذا ماتت «سلمى» وهى نائمة!

لم تكن لديها الفرصة لأن تعترض.. لأن تدافع عن نفسها.

وأسرع مسعود فى صمت الليل يحفر حفرة فى فناء البيت دون أن يشعر أحد.. وبعد ساعة أو بعض ساعة كان قد انتهى منها فى ظلام الحفرة.. ألقى بجثة سلمى!

وظل ساهرا حتى الصباح!



ومر اليـوم التالى بشكل عادى.. ذهب الى عملـه وعاد فى موعـده المعتاد.. ظل ساهرا حتى صباح اليوم التالى.. لكنه لم يذهب الى العمل..

اتجه مسعود الى قسم الشرطة وقال للضـابط: لقد جئت أبلغ عن اختفاء ابنتى.. لقد ذهبت الى عملى أمس وعدت لأجدها قد اختفت من المنزل..

— سـأله الضـابط : ألا يحتمل أن تكـون قـد ذهبت لـزيـارة بعض أقاربكم؟

قال مسعود: ليس لنا أقارب أو حتى معارف..

— قال لـه الضابـط. ربما ذهبت لزيـارة إحدى صـديقاتها وقـد تعود اليوم.

رد مسعود فى حدة: كلا.. لن تعود!

لم يكن صـعبا على ضـابط المباحث أن يكشف سر الجـريمة.. فقـد أكدت تحريـاته أن ثمـة اشاعـة قد سرت بين أهـل الحى تشير الى انحراف «سلمى» وأنها حادت عن الطريق المستقيم.. وهكذا عثر ضابط المباحث على الدافع.

الثأر للكرامة وغسل العار..

وعندما واجه العجوز مسعود بتحـرياته.. انهار الرجل اليائس واعترف بكل شىء.. بل وقـاد ضابط المباحث الى الحفـرة التى دفن فيها جثـة ابنته سلمى..

قال وهم يضعـون القيد الحديـدى فى يديـه: لست حزينـا.. فقد غسلت عارها وعارى!

وكـالمعتاد بـدأت النيابـة فى تحقيق الحادث. وأمـرت بانتـداب الطبيب الشرعى لتشريح جثـة سلمى... لكن المفاجأة التى صعق لها الجميع كـانت تقرير الطبيب الشرعى بعد أيام..

وقال الطبيب الشرعى: المؤكد.. أن القتيلة «سلمى».. كانت عذراء!

طبعـا لم تفعل النيابـة شيئـا للقاتل الحقيقـى «أبوسريع» الـذى أطلق الشائعـة على البريئة سلمى.. فـالقانون لا يعـاقب على اطلاق الشـائعات.. حتى لو أدت الى القتل!



أما القاتل الظاهر: والدها العجوز فلم تفعل النيابة أيضا له شيئا، ذلك أنه بمجرد أن سمع تقرير الطبيب الشرعى حتى جن.. فقد عقله.. أخذ يبكى ويضحك فى وقت واحد..

وهو الآن فى مستشفى الأمراض العقلية..

مريض ميئوس من شفائه!





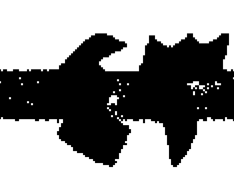
فى مستشفى الأمراض العقليـة قسـم خاص للنـزلاء الخطرين.. ويعيش المرضى فى هـذا القسم تحت حـراسة مشـددة... وفى هـذا القسم أكثـر من مريض.. له حكاية.. ووراء الحكاية.. جريمة!

فى الملف الطبى للمـريض «محسن» معلومـات قليلة تقـول انه يشعـر بالاضطهاد بسبـب فشله فى الدراسة وبسبب ضغوط أخـرى وقعت عليه.. مثل اصرار زوجته على اكمال دراستهـا ونجاح اخوته ومـرض شقيقه الذى يحبـه.. ولقد تـدنت حـالتـه الصحية حتى وصلـت الى جنون الاضطهـاد «البارانـويا».. ورغم ذلك فهو ذكى ومنطقى فى تفكيره. فيما عدا إحســاسه بالاضطهاد!

وفى نهايـة سطــور الملف الطبى للنـزيل الشـاب فى قسم الخطــرين بمستشفى الأمـراض العقلية يقول الطبيـب: ان هذا المريض تسيطـر عليه فكـرة غــير منطقيـة لا يستطيع الخــلاص منهـا.. وهى سبب مـرضـه ومشاكله!

كـان هـذا هو تشخيص الطب فى المريـض الشاب «محسن»... الـوافـد الجديد على مستشفى الأمراض العقلية.. لكن التشخيص لا يقول لنا..

ما هى حكاية محسن؟





ولماذا أوشك على ارتكاب جريمة قتل؟
ثم ارتكب فيما بعد.. جريمتين.. وقتل أيضا؟!

فيما كان مأمور قسم الشرطة على وشك مغادرة مكتبه دق جرس تليفونه..

— قال المتحدث: لدى بلاغ خطير.

— المأمور: تفضل.

— المتحدث : أنا أعمل مهندسا ولقد تلقيت منذ دقائق مكالمة تليفونية من صديقى المقاول الشاب «محسن» يقول فيها ان حياته فى خطر وأن بعض الأشخاص المجهولين يطاردونه ويريدون قتله.. وهو الآن يختبىء فى شقته وعنوانها...!

أخذ رجال الشرطة يصعدون درجات العمارة التى يسكن بها المقاول المهدد بالقتل بسرعة لينقذوه.. وازداد انفعالهم عندما سمعوا أصوات استغاثة وصراخ رجل صادر من شقة المقاول.. فاندفعوا يحطمون باب الشقة لانقاذه.. لكنهم تسمروا فى أماكنهم عندما وجدوا المقاول الشاب يهاجم خادمه العجوز ويحاول تحطيم رأسه!

ألقوا القبض على المقاول الذى ظل يصرخ فى هيستيريا وهم ينقلونه الى مديرية الأمن.

— لم أكن أريد أن أتحدث مع أى انسان.. طلبت من خادمى أن يبتعد عنى.. أن يدعنى وشأنى.. لكنه استمر يسألنى بإلحاح: ماذا بك يا سيدى؟

لم أشعر إلا وأنا أهاجمه كنت أريد أن أقتله..

— سأله الضابط: لماذا

قال المقاول: حتى يتوقف عن الكلام!

كان يمكن أن يمر الحادث بسهولة.. وهذا هو ما حدث تماما.. فقد تم اطلاق سراح المقاول الشاب.. خاصة بعد أن تنازل خادمه العجوز عن اتهامه بالشروع فى قتله.. واعتبر الجميع أن ما حدث ليس إلا حالة نفسية عارضة.. قد تصيب أى شخص!



لكن الشروع فى القتل.. تحول بعد أيام الى جريمة قتل بشعة!

بعد أيام تم العثور على جثة الخادم العجوز وقد مزقها الرصاص ملقاة فى شقة طالب يسكن نفس العمارة ويقوم الخادم العجوز أحيانا بخدمته عندما يغيب سيده المقاول.. وبجوار شقة المقاول كانت جثة الطالب ملقاة وسط بركة من الدماء!

وبلا تردد يدرك رجال الشرطة أن القاتل.. هو المقاول الشاب محسن.. فيلقون القبض عليه.. ليكتشفوا ان الرصاص أطلق من مسدسه.. ودون أن يسألوه أو يجهدوا أنفسهم فى الحصول على اعتراف منه. اعترف محسن بكل شىء.

وكانت اعترافاته.. غاية فى الاثارة!

ولد محسن وعاش فى عائلة ثرية.. وعندما فشل فى انهاء دراسته الجامعية بكلية الحقوق.. احترف مهنة المقاولات التى كان يعمل بها والده بعد أن ورث ثروة طائلة.. تزوج من طالبة حسناء بكلية الصيدلة.. وأنجب منها طفلا..

اذن كيف تحول الى قاتل!

هل كان يتكلم أو يعترف؟

هل كان يبكى أو يضحك؟

لم يستطع المحقق أن يعرف ما يدور بداخل هذا الشاب المضطرب الزائغ النظرات..

— قال محسن: لم أكد أقصد قتل أى انسان.. كنت أريد أن أختبىء من العصابة المجهولة التى تطاردنى!

المحقق: أى عصابة؟

— محسن : عصابة مجهولة. انهم يتجسسون على ويطاردوننى فى كل مكان.. صعدت الى العمارة بعد أن فكرت فى الاختفاء لدى أى من الجيران.. أخذت أضغط على أجراس أبوابهم..

لكن أحدا لم يفتح لى.. وفى الطابق الخامس فوجئت بخادمى يفتح لى الشقة التى يسكن بها الطالب.. اتصلت بصديقى المهندس وأبلغته بقصة

العصابة وطلبت منه أن يتصل بالشرطة.. ظل الخادم يسألنى عما يحدث. طلبت منه أن يصمت حتى تهدأ أعصابى لكنه استمر فى الكلام.. تماما كما حدث فى المرة الأولى.. بعد لحظات فوجئت بالطالب يخرج من غرفته وهو يحمل أحد كتبه التى يذاكر بها.. عندما رأيته تذكرت زوجتى.. انها هى الأخرى لاتكف عن المذاكرة.. الكتاب فى يدها طوال اليوم.. حتى فى المساء تغلق غرفتها على نفسها لتذاكر وتتركنى أنام بمفردى.. لماذا؟

وشعرت بالضيق من الطالب..

طلبت منه أن يقف بجوار الخادم.. سار خطوات ووقف بجانبه وطلبت منهما أن يقرأ كل منهما الشهادة عل روحه . ثم أطلقت عليهما النار.. كل الرصاص الذى كان با لمسدس..

لماذا قتلتهما؟

— محسن لا أعرف.. ربما يكونان من أفراد العصابة المجهولة التى كانت تطاردنى!

لا يملك المحقق أن يسيطر على أعصابه.. يثور قائلا: أنت مجنون!

— يصرخ محسن. كلا.. لست مجنونا بل أنا عاقل مثلك.. بل كان يمكن أن أعمل فى نفس مهنتك وأن أجلس مكانك لأحقق مع المتهمين.. لولا أننى فشلت فى انهاء دراستى.. لا لسبب إلا أننى أكره المذاكرة.. وقد وافقنى أخى الكبير على ذلك.. قال لى إننى يمكننى أن أعمل فى مهنة المقاولات وأن أنجح فيها.. وقف أخى الى جانبى.. وسارت حياتى عادية حتى تزوجت.. كانت زوجتى طالبة جميلة.. لكنها كانت تريد أن تضيع جمالها فى المذاكرة. أصرت على أن تكمل دراستها الجامعية رغم رفضى لذلك.. وعندما عرضت عليها أن تأخذ ما تشاء من أموالى مقابل أن تنهى دراستها..

صرخت فى وجهى كل أموال الدنيا لا تساوى عندى شيئا.. مقابل العلم!

— وهكذا فقد كرهتها وكرهت الكتب التى تحول بينى وبينها حتى بعد أن أنجبت طفلنا الأول..



يقاطعه المحقق: لماذا قتلت الخادم والطالب؟

— صدقنى يا سيدى إنهما شريكان فى العصابة المجهولة التى تطاردنى.. هذه العصابة تلاحق خطواتى منذ فترة وتتجسس على تحركاتى.

لماذا؟

— لا أعلم.. لكن من المؤكد أنهم كانوا يريدون خطفى وقتلى..

وكان لابد أن أقتلهم قبل أن يقتلونى

كانت اعترافات «محسن» مثل القنبلة.. لم يكن يدرك بشاعة الجريمة التى ارتكبها دون سبب واضح.. كان يتكلم بهدوء وثبات. ويروى التفاصيل بكل دقة..

وأدرك المحقق أنه يجلس أمام شخص غير سوى.. أمام قاتل مجنون.. سيطرت على أفكاره فكرة مجنونة عن عصابة تطارده وتريد قتله.. وكانت هذه الفكرة هى السبب فى الجريمة.. لقد قتل الخادم وجاره الطالب وكأنه يقتل أعداءه الوهميين.

ولايملك المحقق فى النهاية سوى أن يأمر بإيداعه فى مستشفى الأمراض العقلية.. حتى يفحص الأطباء قواه العقلية..

ليقولوا: هل هو عاقل.. أو مجنون؟

فإذا كان مجنونا.. يظل حتى نهاية عمره فى مستشفى الأمراض العقلية..

واذا كان عاقلا.. سيذهب بالتأكيد الى المحاكمة.. حيث تنتظره بكل تأكيد.. مشنقة الاعدام!





كأنه مشهد فى فيلم سينمائى بوليسى مثير ..

الثانيـة بعد منتصف الليل الأمطار تغسل شـوارع مدينة الاسكنـدرية الـخالية من المارة فى مثل هذا الوقت من الشتاء البارد..

شبحان يتقدمـان فى الظلام نحو باب فنـدق صغير مكون من طابقين.. يدقان باب الفندق المغلق.. يسرع موظـف الاستقبال الشاب بايقاظ صاحب الفندق الذى يقيم بصفة دائمة فى إحـدى غرفه.. هكذا هى تعليمات صاحب الفنـدق لموظف الاستقبال الـذى التحق بـالعمل منـذ شهر واحـد.. لاتفتح الباب لاى شخص.. دعنى استقبل الزبـائن بنفسى فأنت بلا خبرة فى مجال الفندقة !

ولكن عنـدمـا يفتح صـاحب الفنـدق البـاب يتراجع إلى الخلف فى ذعـر ودهشة ..

ويندفـع الشبحان إلى الداخـل ويغلقان البـاب خلفهما.. رجلان ملثمان لاتظهر ملامح وجهيهما.. يرتديـان القفازات.. ويشهران الاسلحة البيضاء فى وجه صاحب الفندق وموظف الاستقبال المذعور .

ويصرخ احـدهما: اياكما ان تتحـركا.. لا فـائدة من الاستغاثـة.. فنحن نعلم انه لا يوجد نزلاء على الاطلاق بالفندق !



ويقول الثانى لصاحب الفندق: اعطنا مفتاح خزنة الفندق.. وإلا قتلناك !

المشهد الثانى.. أكثر اثارة !

يراوغ صاحب الفندق.. يؤكد أن مفتاح الخزانة ليس معه.. كيف يسلم اللصين المفتاح بهذه السهولة.. ان الخزانة مكدسة بحصيلة الفندق وفندق اخر يمتلكه بنفس المنطقة.. وعندما يماطلهما يقتربان أكثر بالسكين من وجهه.. يجرحانه.. تسيل دماء الرجل على وجهه.. لكنه يتمسك باصرار بأن مفتاح الخزانة ليس معه.

يثور اللصان الملثمان.. يحطمان كل ما تقع أيديهما عليه من أثاث و«فازات » زهور وأكواب وآنية .. وقلب الرجل يتمزق، كلما تكسر شىء ! واخيرا يقنع اللصان بمبلغ الفى جنيه يعثران عليه فى حجرة صاحب الفندق.. فيلوذان بالفرار .

ويسرع الرجل والدماء تغطى وجهه ليتصل بالشرطة.. لتبدأ تحرياتها فى أول حادث سطو مسلح بهذه الجرأة !

●●●

من اللحظة الأولى ادرك رجال المباحث أن هذه الجريمة .. جريمة هواة !

صحيح أن اللصين المجهولين كانا فى منتهى الحرص والذكاء.. فلم يتركا بصمات أصابعهما كما أكد رجال المعمل الجنائى.. لكن الأمر كله كان أشبه بخطة للسرقة. وضعها هواة.. فقد كانت الجرأة التى تمت بها الجريمة.. ليست جرأة لصوص محترفين على الاطلاق !

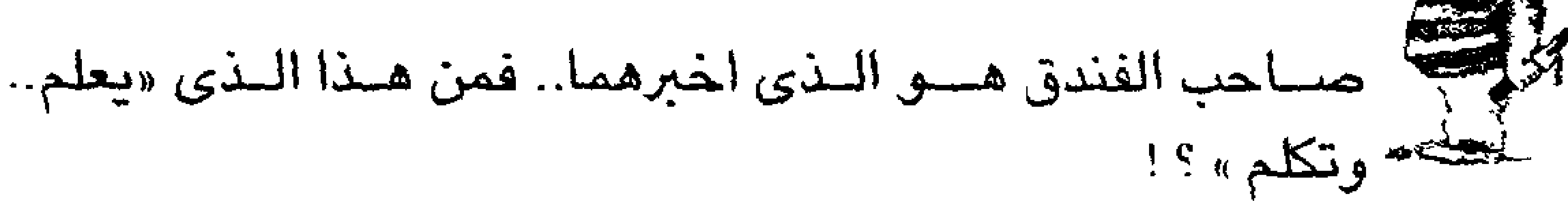
لكن لم يكن لدى رجال المباحث بداية واضحة يبدأون بها تحرياتهم.. لاشىء سوى تلك العبارة التى نطق بها أحد اللصين المجهولين لصاحب الفندق ليلة الحادث..

نحن نعلم انه لا يوجد نزلاء بالفندق الآن.. فلا فائدة من الصراخ أو الاستغاثة !

●●●

كيف علم اللصان بعدم وجود نزلاء بالفندق هذه الليلة.. بالطبع لم يكن





صـاحب الفندق هــو الـذى اخبرهما.. فمن هـذا الـذى «يعلم.. وتكلم» ؟!

هكذا اتجهت شكـوك رجال المباحـث إلى موظف الاستقبال الشـاب. انه الشخص الثانى الذى يعلم حتما بعدم وجود نزلاء.

ودون أن يدرى.. بـدأت عيون رجال المبـاحث ترصد تحركـات موظف الاستقبال.. وتحدد نـوعية معارفه واصـدقائه.. لقد التحق مؤخـرا بالعمل بالفندق. بعد أن تـوسط له احد اصدقاء صاحب الفنـدق. كان مظهره يبدو بريئـا. لكن شيئا مـا فى نظراته كـان يحير رجال المبـاحث . كان يحاول أن يبدو بريئا أكثر من اللازم !

وفى النهـاية كـان رجال المبـاحث قـد جمعوا قـائمـة باسماء وعنـاوين اصـدقاء مـوظف الاستقبال. وبـالحاسة البـوليسية.. بـدأوا يسألونـه عن اصدقـائه واحدا واحـدا.. وكان مـوظف الاستقبال يجيب عن الأسئلـة بكل صراحة ووضوح ويـؤكد لهم انه صديق لهذا.. وصاحب لـذاك.. وهكذا أكد موظف الاستقبال انه يعرف كل الأصدقاء الذين جمعوا اسماءهم .

لكنه أكد فى نهاية القائمة.. عدم معرفته أو صداقته بشخصين !

وهكذا تم كشف غموض الجريمة !

●●●

كان واضحـا انه يكذب بشأن عـدم معرفتـه بهذين الاسمين الاخرين.. فقـد كـان رجال المبـاحث قـد تأكـدوا أن هـذين الاسمين لاثنين من أقـرب اصـدقائه. بل انـه شوهـد يتردد على منزلهما أكثـر من مرة .. فلماذا ينكـر معرفته وصداقته بهما ؟!

هكذا بـدأ موظف الاستقبـال ينهار.. والحلقـات تضيق من حـوله.. وفى نفس الـوقت بدأ رجـال المباحث يـراقبون الصـديقين عن بعد.. فـاكتشفوا انهما ينفقان ببذخ غير معروف عنهما !

وبعد استئذان النيابة تم القبـض على موظف الاستقبال. ومداهمة منزل صديقيه. وهناك يسقط فى أيـديهما ويستسلمان فى الحال لرجال المباحث.. الذين عثروا فى المنزل على بقية المبلغ الذى سرق من حجرة صاحب الفندق .

ويسقط الاصدقاء الثلاثة فى وقت واحد.. ويعترفون بجريمتهم.. انها الجريمة الأولى فى حياة كل منهم. لقد علموا من خلال صديقهم موظف الاستقبال أن صاحب الفندق يحتفظ فى خزانته بحصيلة امواله من فندقه.. مبالغ ضخمة يمكن أن تغير حياتهم من الفقر الى الثراء.. من الحاجة إلى الرفاهية. هكذا يخططون لجريمتهم وكأنهم يكتبون «سيناريو» فيلم بوليسى من أفلام الإثارة.. اقنعة.. قفازات.. أسلحة بيضاء.. ويتخيرون ليلة الجريمة التى يؤكد لهم فيها صديقهم عدم وجود نزلاء بالفندق.. وينطلقون مع شياطينهم لارتكابها معتقدين أنهم خططوا الجريمة الكاملة.

ناسين.. انه لا توجد جريمة كاملة !



وقف المهندس الشاب فى قاعة محكمة الاحوال الشخصية ثائرا غاضبا.. وقال للقاضى انظر يا سيدى إلى هذه المرأة، لقد سرقت أعز شىء..!

سأله القاضى: وما هو.. ؟

قال المهندس سرقت اسمى !

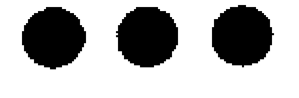
وبدأ المهندس يروى حكايته للمحكمة فقال :

— أنا لا أعرف هذه المرأة ولا يوجد ما يربطنى بها، ولكنى ذهبت ذات يوم إلى أحد المستشفيات الخاصة لزيارة صديق مريض وكاد يغمى على عندما وجدت اسمى مكتوبا على «كارت » صغير موضوع على باب حجرة مريض آخر، دخلت لافاجأ بطفل صغير يرقد على الفراش وبجواره هذه المرأة .. !

سألتها: من هذا الطفل، وما اسمه ..؟

قالت: هو ابنى، وابنك، واسمه يحمل اسمك.. !!

وتخيل يا سيدى القاضى ماذا كان شعورى أمام جرأة وصفاقة هذه المرأة التى سرقت اسمى وأعطته لطفل ليس ابنى ولا أعرفه.. ولقد جئت اليوم إلى المحكمة أطلب انكار نسب هذا الطفل لى، لأنه ليس ابنى.. والله العظيم ليس ابنى .





وجاء دورها لتقف أمام القاضى.

كانت فى الثلاثين من عمرها، ذات جسد ملفوف ووجه حائر، وعينين تحملان غموضا مثيرا .

قال لها القاضى: تكلمى، ماهو دفاعك، هل هذا الولد ابنك، وهل هذا الرجل زوجك. وإذا لم يكن فلماذا يحمل ابنك الصغير اسمه ..؟

نظرت إلى الأرض، ولم ترد ! قال لها القاضى : ما هو دفاعك ..؟

ظلت صامتة.

تضايق القاضى وعاد يسألها تكلمى .

وعندما رفعت وجهها، كان مبتلا بالدموع.. وتكلمت دون أن تمسح دموعها :

— سيدى القاضى، اعذرنى فهذه هى المرة الأولى التى أقف فيها فى محراب العدالة، وفى موقف المتهمة أيضا.. ان كل تهمتى ياسيدى هى هذا القدر الهائل من الحب والحنان فى قلبى. سأتكلم ياسيدى وسأكشف - مضطرة - السر الذى اقسمت ألا أبوح به أبدا.. !

— حكايتى باختصار بدأت عندما تفتحت عيناى على الحياة فوجدت نفسى يتيمة الأبوين، ونشأت فى رعاية قريبة عجوز سرعان ما تخلصت منى وزوجتنى بينما لم يكن عمرى يزيد على ١٦ سنة. وعشت مع زوجى الذى كان يكبرنى فى السن بإحساس الطفلة الصغيرة. ولم استطع أن أمارس أحساسى كامرأة وأم لأننى اكتشفت أنى قد حرمت نعمة انجاب الاطفال. ومرت السنوات دون أن أتأقلم مع حياتى الزوجية. وفى النهاية انفصلت عن زوجى دون مشاكل. ووجدت نفسى وحيدة فى الحياة.. لا أملك سوى شقة وثروة متواضعة تكفينى لان أعيش من ايرادها دون احتياج لأحد. وفكرت كثيرا أن اتبنى طفلا يملأ حياتى ويؤنس وحشتى .

فى ذلك الوقت التقيت بهذا المهندس الذى كان يملأ أذنى كل لحظة بكلمات الحب المعسولة..

وفى النهاية اقنعنى بالموافقة على أن نتزوج عرفيا لظروفه، وكان يعلم



أننى لا أنجب، وأوريــد أن أتبنى طفــلا. كـــان يعلم والله العظيم ياسيدى القاضى.. !!

●●●

كان الصمت قــد ساد القاعــة، واحاطتها نظـرات الحاضرين بفضول.. وكان صوتها يتحول تدريجيا إلى نوع من الحديث والبكاء معا !

وأكملت حكايتها :

— ذهبت إلى أحــد ملاجىء الأطفــال اللقطــاء. أخبرتنى المسئولـة اننى لا يمكننى أن أتبنى طفـــلا. لم يكن هنــاك ســـوى طفلتين كبيرتين، وطفل رضيع لايزيد عمره على ٣ شهور.. قالــوا انهم عثروا عليه فى أحد الباصات. وكان الطفـل مريضــا ووجهه شاحبـا وعيناه ذابلتين وكـأنه سيمـوت بعد لحظات . وذهبت إلى ملجأ آخـر. وبينما أنا هناك فوجئت بمـوظفة من الملجأ الأول تدخل حاملة نفس الطفل المريض وقــالت انه سيودع فى الملجأ الثانى القريب من مكان العثور عليــه. نظرت إلى عينى الطفل المسكين.. مددت يدى نحوه، أمسك بقبضـة يــده بشدة على أصبعى، كأنه ينادينى، كأنــه يرجونى ألا أتركه فى الملجأ !

قلت للموظفة: سأستضيف هذا الطفل .

وحملت الطفل الــوليد إلى بيتى.. وفى هــذا اليــوم مارست أمـومتى لأول مرة، احتضنته ونــام معى فى الفراش. وفى المساء وعندمــا حضر زوجى نظر إليه فى دهشة. وسألنى: ما هذا.. ؟

قلت له: ابنى.

ابتسم وقال: بل ابننا..! وهكذا عاش الــولد معنا، وذهب زوجى ـ العرفى إلى الملجأ وقــدم طلبــا لتبنى الطفل وأعطــانى بطــاقته الشخصيــة فـذهبت واستخرجت شهادة ميلاد للطفل تحمل اسمـــه، ومرت بنا السنوات.. كانت الخلافــات تظهــر وتختفى وبــدأت أكتشف انــه تـزوجنى من أجل ثــروتى وليس لأنــه يحبنــى. لكنى كنت أتحمل من أجل ابنى. نعــم بــدأت أحس أن الولــد هو ابنى.. أليست الأم هى التى تتحمل من أجل طفلها وتــرعاه وتهب حياتها من أجله . وكان الولد من نــاحيته قد كبر ولم يكن يعرف سوى أننى



أمه، وان هذا الرجل الذى يحمل اسمه هو أبوه. لكن الخلافات زادت بعد أن دخل الـولد المدرسة الخاصــة. وكنت قد قـررت أن يتعلم أفضل تعليم. وفى النهايـة أوقفنا أنا وزوجى الخلافـات.. وقررت أن اتخلص من مضايقـاته واصراره على ابتـزازى.. فمـزقت ورقـة الزواج العـرفى والقيتهـا فى وجهـه وطردته من الشقة ومن حياتى.. !

وعشت من أجل ابنى.. انعـزلـت عن النـاس جميعـا رغم صغـر سنى، فالجميع طامعون فى ثروتى، وليـس لى سوى هذا الابن الذى سيكون رجلى وأسرتى ووارثى فى المستقبل. لكن زوجـى ظهـر مـرة أخـرى.. عـاد بطلب غريب.. !!

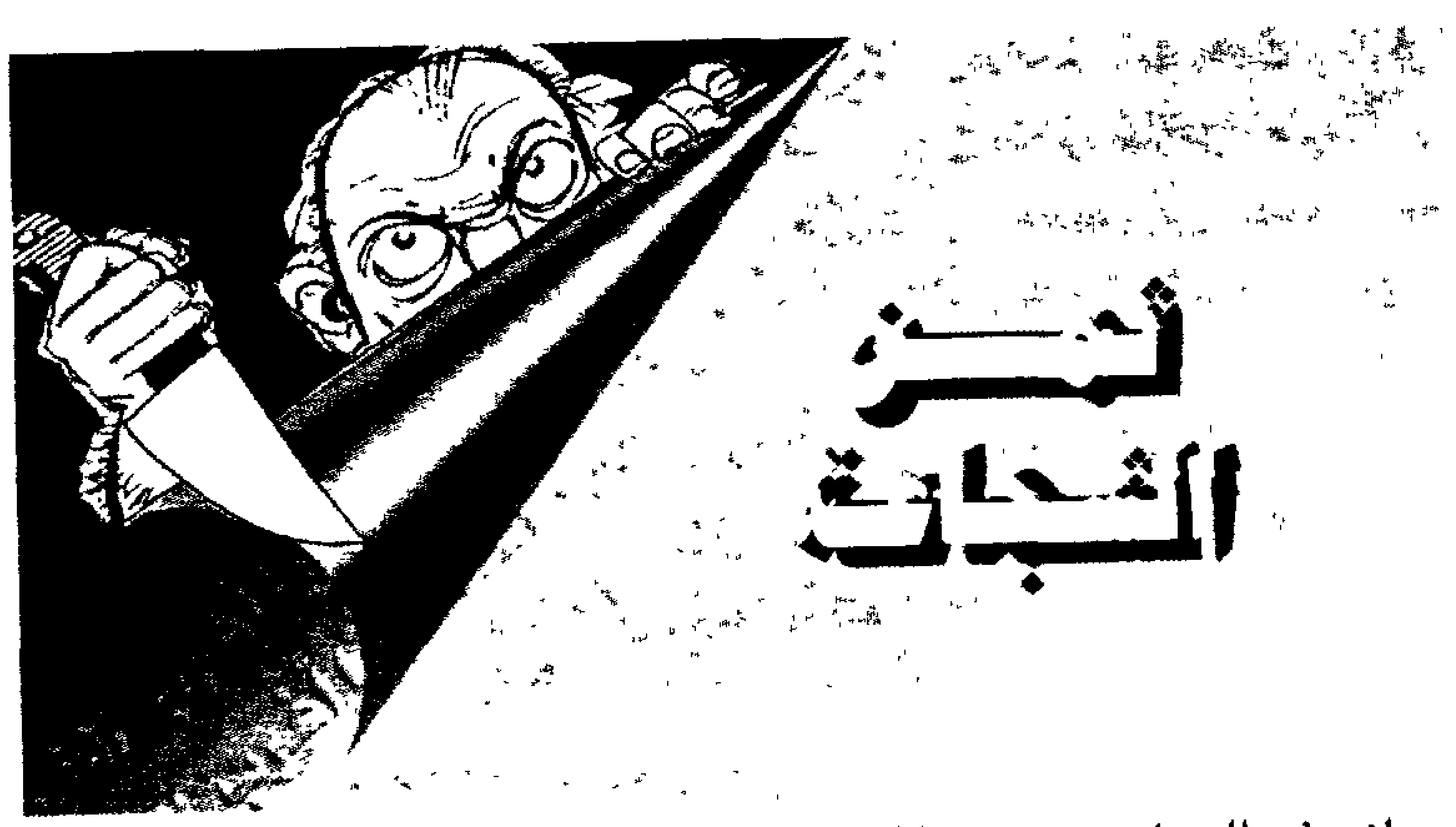
قال لى: ١٢ ألف جنيه، خلو رجل لكى أترك اسمى لابنك .. !!

ولم أرد.. أغلقت التليفون فى وجهه. فجاء إلى المحكمة ليطلب انكار نسب الطفل إليه. وهـا أنا ذا أقـول واعترف. نعم الطفل ليس ابنه رغم انـه يحمل اسمـه.. وليس ابنى. لكن مـا ذنب هـذا المسكين وكيف يكـون مصيره. هل يصبح بلا اسم، وماذا أقول للمدرســة التى يتعلم فيها، وماذا أقول له.. هل أخبره بأننى لست أمه بعد أن ربيتـه ٦ سنوات.. ؟ وانى جئت به من الملجأ.. هل أدمر حياة هذا الطفل البرىء ؟!

قال القاضـى: حكمت المحكمة بعدم ثبوت نسب الطفل إلى المهندس .

وخـرجت من المحكمـة تمسح دمـوعهـا.. تـرغب فى أن تبتلعهـا الأرض ولا تعود للمنزل، ولا تواجه الطفل البرىء.. !

وبعد قليـل يصل الحكم الأحوال المدنيـة والشئون الاجتماعيـة، فتقوم الأولى بسحب اسم الطفل.. ليصبح بلا اسم. وتقوم الثانية بسحبه من بيت أمه التى ربته إلى ملجأ الأطفال اللقطاء !!



انــدفع الرجل بهستيريــا إلى داخل مكتب رئيس المباحث وهــو يصيح فى الجندى الــذى حاول منعــه من الدخول قبل أن يستــأذن صاحب المكتب.. وطلب الضابط سراج الــروبى من الجندى أن يترك الرجل الثــائر وشأنه.. وأشار إليــه بأن يجلس.. فتهالك الــرجل على أقرب مقعــد.. أخفى وجهه بين يديه وظل يبكــى بحرقة.. وهو ينتحب قائلا: أنــا السبب.. ياليتنى لم أخبره بالسرقــة. ليت لسانى قــد قطع.. خسارة النقود أهــون من اصابــة أوموت رجل شجــاع.. قــال لــه الضــابط سراج. تمالك نفسك يــارجل.. وحــاول ان تخبرنى بهدوء ماذا حدث؟

— قال الرجل الذى يناهز الخمسين من عمره: خرجت صباح اليوم من منــزلى بــالعبــاسية قــاصــدا عملى بمنطقــة العتبــة.. ثم قــررت ان أستقل الاتــوبيس بــدلا من الترام الــذى تعــودت ركــوبــه كل يــوم.. وصعــدت إلى الأتــوبيس المزدحم وأنا أتمنى أن ينتهــى الطريق بسرعــة لأصل إلى عملى فى الوقت المنــاسب.. وأنت تعرف يــاسيدى ماهــو الاتوبيس وكيف «ينحشر» الركــاب داخله ويتــلاصقون.. المهم.. قبــل أن أنزل شعرت بيــد تتسلل إلى جيبى.. ثم تخرج وبين أطراف أصابعها حافظة نقودى.. لم ألتفت.. ونظرت أمــامى لأجد رجــلا يحمل وجــه شيطــان يحدق فى عينى بقسوة.. وبسرعــة



أدركت انه زميل النشال الذى سرق حافظة نقودى. وان نظرات عينيه ماهى إلا رسالة تحذير يوجهها لى. وكأنه يتوعدنى بالويل إذا فتحت فمى!

●●●

وأكمل الرجل المسكين الذى كان عرقــه قد بدأ يتصبب من مجرد اعادته لشريط الحادث..

فقال: عندما توقف الاتوبيس فى المحطة أسرعت بالهبوط لانجو بنفسى. ولم أكن أشعر بأى أسف لسرقة حافظـة نقودى. لأن حياتى أهم من النقود هذا شىء، والشىء الآخر ان المحفظـة لم يكن بها سوى جنيهات معدودة.. لكن فوجئت بأن الـرجل الشرير وشريكه النشال يهبطـان فى نفس المحطة.. وشاءت المقاديــر أن أحد أمناء الشرطة يقف فى المحطـة.. وترددت للحظات.. لكن استجمعت شجــاعتى وأسرعـت نحـوه لأخبره بما فعـــله النشـــال وصديقه..

وبمنتهى الهدوء تـوجه أمين الشرطـة نحـو النشال وشريكـه.. وعندمـا اقترب منهما.. كان النشال قد استــدار ليسرع بالهرب.. بينما استل شريكه سكينا حــادة من طيات ملابســه. وفى لمح البصر كان اغمدهــا فى صدر أمين الشرطة. فاندفعت الدماء منه مثـل «النافورة».. لكنه فى سرعة البرق كان قد نزع مسدســه وأطلق النار على النشال وصديقه.. فاصيب النشـــال فى قدمه بينما تمكن صـــديقــه الذى طعـن أمين الشرطة من الهرب فى زحـام النـاس الذين تجمعـوا على المعركة الخاطفـة. وبعد أن تأكـد أمين الشرطة ان المارة أمسكوا بـالنشال المصــاب.. فقد وعيه بسبب غـزارة مانـزفه من الـدماء.. وحضرت سيارة الاسعاف لنقله إلى المستشفى..

— سأله الضابط سراج: وهل تعرف اسم أمين الشرطة؟

قال الرجل: نعم أخبرنى به قبل ان يغمى عليه.. اسمه سيد نجدى.

وهنا انطلقت صيحة ألم مفاجئـة من المقدم سراج رغما عنه وهب يغادر غرفة مكتبه بسرعة جنونية..

قال وهو يجرى: إلى المستشفى.. فهذا أفضل وأشجع رجالى!

●●●



فى مستشفى الجيزة العام..

بينما كانت الاستعدادات تجرى على قدم وساق لإعداد حجرة العمليات بسرعة.. كان أمين الشرطة نجدى يرقد على «نقالة» وقد تلوثت ملابسه تماما بالدماء.. كان وجهه قد شحب ونظراته زاغت..

وعندما دخل الضابط سراج الحجرة ملهوفا..

قال له أمين الشرطة الشجاع: سيدى.. أسف لأنى لم اتمكن إلا من ضبط النشال فقط وتمكن شريكه من الهرب!

وقف الضابط سراج يهتز أمام رجله الشجاع.

ثم همس له قائلا: المهم.. سلامتك أنت!

قال أمين الشرطة الشجاع: كان موعد انتهاء الدورية قد مضى. وكنت على وشك العودة إلى منزلى. لكن نداء الواجب لاموعد له. لم أتردد فى محاولة القبض على النشال وشريكه. ولولا أن هذا الشريك طعننى بسكينه لتمكنت من القبض عليه و...

أخذ صوت أمين الشرطة يخفت ودماؤه تنزف بغزارة..

وللحظات فقد وعيه.. ثم فتح عينيه بوهن..

وقال لسراج: أشعر اننى سوف أموت..

وقبل ان يحاول سراج تهدئته.. قال أمين الشرطة : لو مت سوف يكون الانتقام لى من قاتلى الهارب أمانة فى عنقك.. يجب أن تقبض عليه.. انتقم لى من قاتلى!

وللمرة الثانية فقد أمين الشرطة وعيه. وأسرع الأطباء ينقلونه إلى حجرة العمليات.. وظل سراج ينتظر خارج الحجرة.. وأخيرا خرج أحد الأطباء والأسف فى عينيه..

وقال للضابط سراج: البقاء لله.. لقد مات أمين الشرطة!

●●●

لم يعد سراج إلى منزله.. عاد إلى قسم الشرطة حيث وجد النشال الذى أصيب اصابة طفيفة فى قدمه.. كان متمالك الاعصاب كعادة اللصوص المحترفين..





قال النشال : أنا برىء.. أنا لست لصا؟

صرخ فيه سراج: وكيف أصابك أمين الشرطة؟

قال النشال بصفاقة: قضاء وقدرا.. وكنت أسير فى الشارع وأطلق أمين الشرطة مسدسه فأصابنى.. فكيف إذن تقبضون على؟

ويحاول الضابط سراج ان يتمالك نفسه حتى لايفتك بالنشال الوقح..!

ويعود إلى مكتبه ليجد الضحية فى انتظاره.. صاحب المحفظة المسروقة.

ويسأله سراج بمرارة. هل يمكن ان تخبرنى بأوصاف شريك النشال الذى طعن أمين الشرطة؟

يقول الرجل بسرعة: هذا وجه شيطانى لن انساه طوال العمر.. هو شاب أسمر نحيف.. وبوجهه أثر جرح غائر على الجانب الأيمن من وجهه بينما يتدلى شعره بغزارة من الخلف.. أما عيناه فتنطلقان بقسوة مخيفة!

يسأله الضابط سراج: ماذا كان يرتدى؟

يقول الرجل: بنطلونا أسود وقميصا أبيض اللون.. وهو سريع الحركة بشكل غير عادى.. لقد استطاع ان يذوب فى زحام الناس بسرعة شديدة بعد أن طعن أمين الشرطة.. وبالمناسبة.. كيف حال أمين الشرطة.. لشدة ماأشعر بالأسف من أجله الآن؟

اطرق سراج إلى الأرض بحزن.. وهمس انه الآن لايحتاج إلى الأسف.. بل ان نطلب من الله أن يرحمه!

ومرت الأيام، والأسابيع.. وكان يمكن أن يمر الحادث بطريقة عادية.. لأنه من العادى ان يتعرض رجال الشرطة فى عملهم إلى مخاطر كبيرة تصل إلى حد دفع حياتهم ثمنا لمواجهة الجريمة والمجرمين.. لكن الضابط سراج لم يشعر فى لحظة من اللحظات بأن جريمة مصرع أمين الشرطة نجدى هى جريمة عادية..

كان يشعر بنوع من التقدير نحو هذا الشاب..

فقد بدأ الاثنان العمل معا.. عندما بدأ سراج عمله كضابط مباحث صغيرا جاء أمين الشرطة نجدى ليحمل معه فور تخرجه.. وبمرور الأيام بدأ يكن له ودا واحتراما فقد كان نجدى مخلصا فى عمله مطيعا لرؤسائه..



محبوبا من الجميع..

وكم من الليالى استيقظ فيها سراج من نـومه على صوت أمين الشرطة نجدى يصرخ:

— أرجوك.. انتقم لى من قاتلى! ولهذا لم تكن قضية عـادية جدا بالنسبة له.. وظلت صورة القـاتل مرسومة فى خياله دائما. يبحث عنـه فى كل فرصة فى أوكار الجريمة والمجرمين.. وفى كل الأمـاكن التى يتردد عليها المشبوهون والمنحرفون!

حتى جاء يوم الانتقام.

●●●

لم يهدأ الضـابط سراج ولم يكف عن جمع المعلـومـات حـول النشـال وصـديقه القـاتل المجهول.. واستطـاع بعـد أسابيع ان يكشف شخصيـة القـاتل.. انه شقى خطـر من محترفى السرقـة بالاكـراه.. وهو من محافظة الشرقية.. وبعـد ارتكابه حـادث قتل أمين الشرطة شعـر بأن الضابط سراج يحاصره فأسرع يهرب من القاهرة إلى بلدته بالشرقية..

وعندمـا تمكن سراج من الوصول إلى عنـوانه بـالشرقية ذهب مع بعض رجاله ليلقوا القبض عليه فى منزله..

وظل القاتل يصرخ: برىء.. أنا برىء..

حتى دخل الرجل الذى سرقت حافظته.. وأشار نحوه بعصبية.

صارخا: هذا هو اللص. القاتل!

وهنـا أسقط فى يد اللص.. إنهار.. واعترف بجـريمته البشعـة التى راح ضحيتها أمين الشرطـة الشجاع وعندما احـالته النيابـة إلى المحكمة.. ذهب الضابط سراج إلى المحكمـة وغادرها بعد أن سمع الحكم: الاشغـال الشاقة المؤبدة للص القاتل..

وانطلق الضابط سراج إلى مقابر الدراسة.. وهناك وقف أمام مقبرة أمين الشرطة.. ومسح دموعا غاليته..

وهمس: الآن يـاأخى يمكنك ان تـرقد فى مثـواك الأخير مـرتـاحا.. لقـد انتقمت لك العدالة!

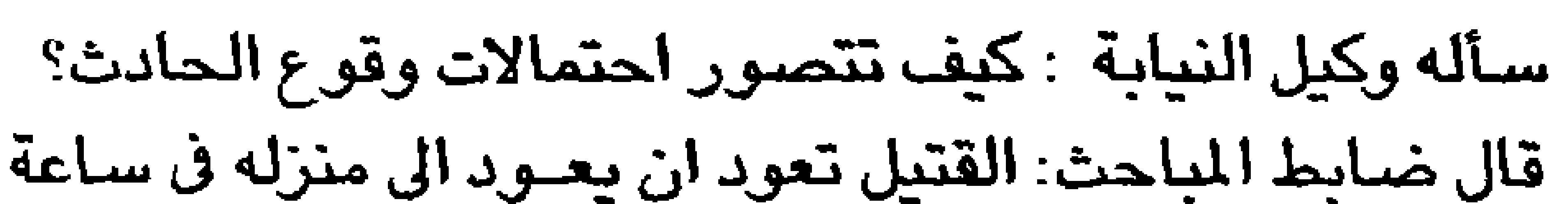




عندما رن جرس التليفون فى منزل وكيل النيابة الشاب استيقظ بسرعة، ولم يشعر، بامتعاض من إلحاح جرس التليفون. لم يكن قد مضى على عمله وكيل نيابة سوى شهور معدودة. لم يحقق خلالها سوى بعض الجرائم التافهة الصغيرة. وكان يحلم بأن يجد نفسه وسط قضية كبيرة معقدة، ليختبر ذكاءه وقدراته فى حل غموضها.. وللحق فإن رنين جرس تليفونه بعد منتصف الليل جاء ليحقق حلمه، ولهذا نفض عن وجهه آثار النوم بسرعة. عندما اكتشف ان المتحدث هو ضابط مباحث حى المعادى الهادىء. الذى أخبره عن وقوع جريمة بجوار سور إحدى الفيلات المنتشرة، فى المعادى، وارتدى ملابسه بسرعة أكبر، وانطلق فى جنح الظلام وهو يسابق الريح بسيارته.. نحو القضية الغامضة.

على الأرض وبجوار سور الفيلا كان القتيل يرقد وسط بركة من الدماء.. عجوز فى نحو الخامسة والخمسين من عمره.. ملابسه انيقة لكن التراب والدماء لوثتها..

قال ضابط المباحث: المجنى عليه كان يعيش فى هذه الفيلا مع زوجته وبعض الخدم.. ولقد سمع جندى الدورية صوت الطلقات النارية فأسرع الى مصدرها.. ووصل الى المكان ليجد زوجة القتيل وخدمه فى حالة ذعر..



سأله وكيل النيابة : كيف تتصور احتمالات وقوع الحادث؟

قال ضابط المباحث: القتيل تعود ان يعود الى منزله فى ساعة متأخرة من الليل. وحى المعادى من الأحياء الهادئة كما تعرف ولابد ان الجانى قد انتظر القتيل فى الظلام بجوار سور الفيلا وأطلق عليه الرصاص فور وصوله.. ولقد عثرنا على آثار حذاء واضحة يقوم خبراء المعمل الجنائى الآن برفعها..

نظر وكيل النيابة نحو الفيلا.. وراوده احساس غريب.. ان سر الجريمة داخل بيت المجنى عليه.. فسار نحو باب الفيلا فى هدوء.. ليبدأ التحقيق مع سكانها.. وبالتحديد مع زوجة التاجر القتيل..

●●●

سألها: سيدتى: تمالكى أعصابك.. وحاولى ان تروى ماحدث بالضبط؟

مسحت الزوجة دموعها وقالت: كنت نائمة.. واستيقظت فجأة على دوى الرصاص فأيقظت الخادمة والبواب وهرعوا الى الخارج حيث عثروا على جثة زوجى ملقاة على الأرض.

— سألها. هل لزوجك أعداء؟

قالت لا.

— سألها: ألم تلاحظى شيئا غريبا فى تصرفاته فى يوم الحادث أو الأيام الأخيرة؟

ترددت الزوجة قليلا.

لكنها قالت: لم أكن أهتم أبدا بالتدخل فى شئون زوجى أو تجارته، لكن لاحظت فى الشهور الأخيرة أنه بدأ يتغيب عن المنزل ولايعود إلافى ساعة متأخرة من الليل ورائحة الخمر تفوح من فمه، كان هذا شيئا غير عادى.. فقد كان زوجى يعود مبكرا ويفضل قضاء السهرة فى المنزل..

لكنه فى الأيام الأخيرة بدأ يتغير.. أصبح يهتم بأناقته ويتأنق فى اختيار ملابسه ويشرب الخمرة التى لم يكن يعرف لها من قبل طريقا.

غلبتها دموعها.. صمتت فاحترم وكيل النيابة صمتها.

— لكنها عادت لتكمل. وقال لى قلبى إنه لابد أن تكون هناك امرأة خلف





هـذا التغيير فى حيـاة زوجى وحـاولت بشتى الـوسـائل ان أصل الى سر شخصيـة هذه المرأة لكنى لم أصل الى شىء. واستسلمت الى الـواقع حتى لاأفقد زوجى نهائيـا وأهدم بيتى خـاصة أننى لم أنجب من زوجـى أطفالا يـربطوننى بـه، إلاولـدا وحيـدا تخرج فى الجامعة وأراد ان يكمل تعليمـه فى الخارج لكن زوجى رفض وأصر على أن يعمل الـولـد معـه فى تجارتـه. لكن قسوته دفعت الولد الى الانفصال عنه والالتحاق بالعمل فى إحدى الشركات. وسرعات مـاتزوج موظفه أجنبيـة تعمل فى هذه الشركة وانفصل تمامـا عنا وعن حياتنا وقد شعر زوجى بمرارة شـديدة من ذلك.. وقرر ان يحرم الولد من الميراث.

وفى نفس اللحظة دخل من الباب شاب تعـدى العشرين.. كانت الصدمة واضحة تمامـا على وجهه.. كـان ابن التاجـر القتيل.. الـذى جاء فى مـوعده تماما..

ليسـأله وكيل النيابة:

وأكد الابن أنـه حزين لمصرع والـده على الرغم من مـوقف والده المتعنت منه وقسوته عليه.

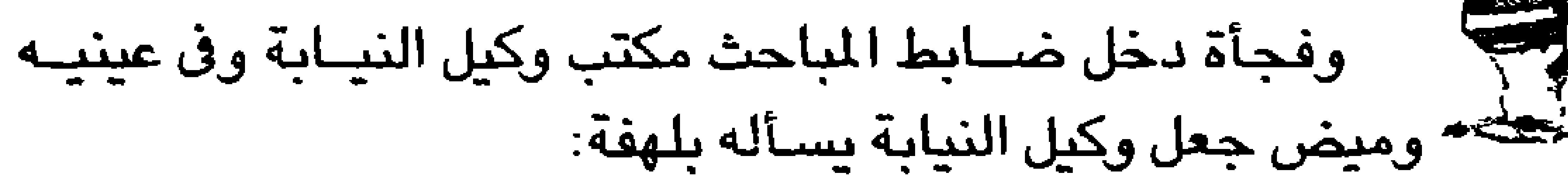
— وسـأله وكيل النيابة: أين كنت هذا المساء؟..

قال الابن: كنت أعمل فى الشركة طوال المساء.. حتى اتصلت بى والدتى منذ عشرين دقيقـة لتخبرنى بوقوع الحادث.. وكل مـوظفى الشركة يمكنهم الشهادة بأننى لم أغادر مكتبى إلابعد وقوع الحادث..

●●●

فى اليوم التـالى كان وكيل النيابـة يجلس الى مكتبه.. وعلامـات الاكتئاب واضحة فى عينـه.. كان يريد قضيـة غامضة ليحققها ويكشف غمـوضها.. لكنه وجد نفسه أمام لغز لايستطيع حله..

فى البـداية اتجهت شكـوكه الى زوجـة التـاجر وابنـه، لأنهما الوحيـدان اللذان ستعـود عليهما فائدة من موتـه.. ويرثان ثـروته الطائلـة، لكن هذه الشكوك لم تؤيدهـا أية أدلة.. فتحريات رجال المباحث تؤكـد براءة الزوجة والشـهود يؤكدون ان الابن لم يغادر عمله إلا بعد وقوع الحادث.



وفجأة دخل ضـابط المباحث مكتب وكيل النيـابة وفى عينيـه وميض جعل وكيل النيابة يسأله بلهفة:

هل لديك جديد فى القضية؟

— قال ضابط المبـاحث: نعم.. لقد أسفرت تحرياتنـا عن كشف جانب مجهول فى حياة التاجر القتيل.. لقد عـاش هذا الرجل معظم حياته منصرفا الى عمله وتجارته يحاول مضاعفة ثـروته بكل الطرق واشتهر بأنه لاشىء فى العـالم يلهيـه عن جمع المال وكـان جشعـه يـزداد كلما ازدادت الثـروة وتكدست الأموال فى خزائنه.

كان وكيل النيابة يصغى باهتمام شديد.

— وأكمل الضابط حديثه: لكن الرجل على فـرط ثرائه وغناه كان بخيلا حريصا الى درجـة التقتير. وكان يعيش حياة زوجية جـافة مع زوجته التى قنعت منه بأن يتـولى الانفاق عليها وعلى مسكنها.. هكذا عـاش المجنى عليه معظم سنوات عمـره.. حتى العام الماضـى عنـدما التقى فى إحـدى الحفلات بفتـاة صغيرة حسنـاء خفق لها قلبه من اللحظـة الأولى وأدركت الحسنـاء اللعوب أن العجـوز وقع فى هواها فبدأت تتردد على شركتـه ثم اختفت.. وبدأ موظفو الشركة يلاحظون انه عنـدما يغادر الشركة فى المساء يعتنى بمظهره وهنـدامه ويشحن سيـارتـه بمختلف ألـوان الحلوى والأطعمـة.. وينطلق بالتأكيد الى منزل هذه الحسناء الصغيرة.

— سأله وكيل النيابة: وهل توصلت الى عنوان هذه الحسناء؟

— جاء الـرد مخيبا لآمالـه: كلا.. للأسف لم نتـوصل الى عنوانها.. لأن المرحوم كان حريصا على كتمان حكايته معها..

●●●

لكن وكيل النيابة لم يشعر بـاليأس.. وطلب من ضابط المباحث تفتيش أوراق المجنى عليه سواء فى منزله أو فى عملـه لعله يعثر على شىء يقوده الى شخصية الحسناء المجهـولة. وفى نهاية اليوم عـاد ضابط المباحث الى وكيل النيابـة والفرحة تكاد تقفـز من عينيه.. لقد عثـر بين أوراق القتيل على عقد ايجار شقة.. ولابد أنها الشقة التى استأجرها لتكون.. عش الغرام..



وفى الحال طلب منه وكيل النيابة ان يكون أول ما يفعله فى صباح اليوم لتالى أن يذهب الى عنوان الشقة ويقبض على ساكنتها الحسناء.. ويأتى بها الى النيابة..

وفى صباح اليوم التالى.. وقفت الحسناء أمام وكيل النيابة دامعة العينين.

سألها وكيل النيابة بلهجة جافة. ماهى علاقتك با لمجنى عليه؟

— قالت بصوت هامس ربما لن تصدقنى يا سيدى لكنى سأقول الحقيقة.. آنا من أسرة فقيرة.. تزوجت وأنا صغيرة لكنى لم أوفق فى زواجى.. طلقنى زوجى وتركنى وحيدة.. حتى التقيت با لمرحوم.. أحبنى وبدأ يغدق على الهدايا والأموال.. أستأجر لى شقة واثثها بأفضل الأثاث لم أجد منه إلا الحنان والاخلاص فأحببته بدورى وعندما شعر بصدق حبى له أراد أن يؤمن لى مستقبلى فعرض على ان يتزوجنى لكنى رفضت حتى لا أهدم بيته وأسرته.. فأودع مبلغا كبيرا من المال باسمى فى أحد البنوك.

سألها وكيل النيابة كيف علمت بالحادث؟

— قرأت عنه فى الصحف.. أخذ وكيل النيابة ينظر إليها فى حيرة. إنها هادئة.. وهدؤها يحمل غموضا أكثر مما يعنى وضوحا.

فقال لها: يمكنك الانصراف.

وبمجرد ان غادرت المكتب التفت الى ضابط المباحث.

وقال له: يجب ان تضعها تحت المراقبة.

●●●

ولم تمض سوى أيام قليلة حتى أثمرت مراقبة الحسناء عن مفاجأة.. لقد شاهد الجندى السرى المعين لمراقبتها رجلا يصعد الى شقتها.. فتركه لساعة.. ثم صعد ليلقى القبض عليه وعليها ويقتادهما الى ضابط المباحث الذى أسرع بهما الى وكيل النيابة.

ووقفت الحسناء مضطربة أمام وكيل النيابة لاتستطيع أن تفسر وجود هذا الرجل معها.. فى البداية زعمت أنه شقيقها.. ثم أدعت أنه أحد أقاربها..



لكن وكيل النيابة ظل يحاصرها بالأسئلة.. حتى انهارت واعترفت.

وأتت بالمفاجأة فقالت: بل هو.. زوجى.

وفى دقائق كانت تعترف بقصة الجريمة.. لقد التقت بالتاجر فى حفلة كان يحضرها زوجها.. وأراد زوجها ان يستغل التاجر.. فأقنعها بأن تروى له قصة زواجها الأول وطلاقها الذى لم يحدث.. وطلب منها أن تتودد الى التاجر طمعا فى هداياه وثروته.. لكن أطماع زوجها لم تقف عند هذا الحد.. وطلب منها أن تغرى التاجر بأن يتزوجها ثم يقوم هو بقتله لترث منه.

وهكذا أحيل الاثنان الى المحكمة.. وقضت المحكمة بإعدام الزوج.. والأشغال الشاقة المؤبدة لزوجته الحسناء.





إذا فكـرت أن تقتل شخصـا مـا.. وعـــزمت على فكـرتك.. ووضعت لها التفـاصيل.. كيفية إرتكـاب الجريمة.. الموعـد.. المكان.. وسيلـة القتل.. كل شىء.. لكن! حـدث أمر مفاجىء لا دخـل لإرادتك به.. كأن تـذهب فلا تجد القتيل.. أو يحدث لسيـارتك حادث تصادم وأنـت فى الطريق له.. أى مـانع قدرى يحدث فجأة ويمنعك من اتمام الجريمة..

فى هـذه الحالة: هل تعتبر قـاتلا؟ هل يعـاقبك قانـون الأرض.. أم تفلت لتلقى عقابك.. بقانون السماء؟

فى هذه القضية الغريبة.. قاتلان..

الأول لا يعاقبه قانون العقوبات، والثانى: نفذ.

الأول لا يعاقبه قانون العقوبات، لأنه « راحت عليه نومة ».

والثانى: تنتظره مشنقة الاعدام.

●●●

كأنهما تـوأم ولـدا معـا.. كان « على » و «عليـوه » رغم أنهما لم يكـونـا شقيقين وإنما كان على ابن خالـة عليوة.. تعدى كل منهما العشرين بقليل.. ولم يكن هذا هـو العامل الوحيـد المشترك بينهما غير صلة القرابـة وتقارب العمـر.. بل إن كـلا منهما تعثر فى دراستـه. . وكـلا منهما لم يكن يميل الى

العلم أو فى الحقيقة الى بذل أى مجهود حقيقى فبعد ان فشلا فى إتمام دراستهما.. أخذ كل منهما ينتقل من عمل الى آخر الى ثالث.. دون استقرار أو نجاح حقيقى.. وانتهى الأمر بأن أصبح الاثنان.. فى الشارع.

كانت متعتهما الوحيدة هى التسكع فى الشوارع والجلوس الساعات طويلة على المقاهى ومشاهدة المارة والثرثرة الفارغة حول أية موضوعات تافهة.

●●●

كانت والدة « على » قد توفيت منذ فترة وتركته ليعيش بمفرده فى المنزل.. وفى البداية كان ينفق من معاش والده المتوفى الذى انتقل اليه بوفاة والده لكنه عندما فشل فى الدراسة انقطع عنه المعاش حسب نصوص القانون وهكذا وجد نفسه فى مأزق حرج.. خاصة بعد أن فشل فى الحصول على عمل دائم يتيح له أن ينفق على متطلبات حياته.. ولم يكن أحد من أفراد عائلة أمه أو والده يساعده فقد كانوا يرونه شابا عاطلا فاسدا لا يستحق المساعدة بقدر ما يحتاج الى النصيحة والزجر والتأنيب.

ولم يكن حال ابن خالته عليوه يفرق عنه كثيرا.. فرغم ان والديه كانا لايزالان على قيد الحياة.. إلاأنهما طرداه الى الشارع بعد ان فشل فى دراسته ولم ينجح فى أى عمل عثرا عليه من أجله.

ولم يكن أمام عليوة من ملجأ سوى ابن خالته على فذهب ليقيم معه فى شقته.. لتبدأ فصول الجريمة الغريبة

●●●

لم يكن أحد من أفراد العائلة يشفق على« على » وعليوه سوى جدتهما لأمهما.. كانت الجدة العجوز التى تعيش بمفردها فى شقة متواضعة بحى المنيل تحنو على حفيديها وتشفق عليهما وتقدم إليهما كل مساعدة ممكنة.

وكما يقول المثل الشعبى. أعز الولد ولد الولد.. فإن الجدة العجوز كانت تولى كل اهتمامها ورعايتها لابنى ابنتيها الشابين.. كانا اذا ما تبخرت نقودهما ذهبا اليها فتعطيهما بعضا من معاشها.. كانا إذا شعرا بالجوع



لجأ اليها فتقدم لهما الطعام وتطعمهما بيديها.. كان حنان الجدة العجوز منقطع النظير.. لكن اليد التى امتدت بالعطف قطعها الجحود ونكران الجميل.

●●●

ضاقت كل السبل فى وجه على وعليوه وتلاشت كل ما معهما من نقود وسدت أبواب العمل والرزق فى وجههما لكسلهما وحب كل منهما للراحة والبعد عن الرغبة فى التعب .

ورقد الاثنان فى شقة على كل منهما على فراش يحدق فى سقف الحجرة ويتذكر همومه وضيق حاله .

— قال على: لا بد لنا من الحصول على مبلغ كبير.. يكفينا فترة طويلة.

فرد عليوة : ولكن من أين لنا هذا المبلغ ؟

قال على: من أى مكان المهم ان نحصل على النقود.

سأله عليوه: وبأى وسيلة ؟

— رد على فى ضيق: لاتهم الوسيلة.. المهم أن نحصل على المال وإلا ساء مصيرنا.

وساد صمت بين الاثنين.

لكنه لم يكن صمتا تاما.. ففى هذه اللحظة الغريبة كان الشيطان قد انتهز الفرصة وبدأ يحدث كل منهما فى أذنه.

قال الشيطان لعلى: وسيلة واحدة أمامك للحصول على مال سهل.

— همس على لنفسه: ما هى؟

قال الشيطان: جدتك العجوز ان لديها كمية من المصوغات يكفيك ثمنها لسنوات طويلة.

— همس على لنفسه: وهل تعطينى جدتى مصوغاتها بسهولة؟

قال له الشيطان. اقتلها وخذ مجوهراتها.

اتسعت عينا على من هول الفكرة الشيطانية.

— وعاد يهمس لنفسه: أقتل جدتى؟..

قال له الشيطان: انها عجوز وستموت خلال شهور.. بل إنك سوف



تريحها من المرض والشيخوخة.

وهكذا ظل الشيطان يبث الفكرة فى أذنى على حتى جعله يقتنع بها تماما بعد أن نسى أنها جدته وأنها كانت الانسانة الوحيدة التى تحنو عليه وترعاه

ولم ينم.. إلا بعد أن اختمرت الفكرة فى ذهنه.. سوف يقتل جدته ويسرق مصاغها.

وقبل أن ينام نظر الى عليوة الذى كان قد استغرق فى النوم.. وقرر ألا يخبره بنواياه أو فكرة الجريمة.. لينفرد لنفسه با لمصوغات.

تصور أنه سيكون القاتل والسارق الوحيد.. لكنه كان مخطئا أشد الخطأ فى تصوره

●●●

عندما عثر سكان العمارة بعد أيام على جثة الجدة العجوز فى شقتها، بعد أن امتنعت عن الظهور لعدة أيام حتى ارتاب الجيران، وفتحوا الشقة ليجدوها جثة هامدة.

وظل رجال المباحث يجرون تحرياتهم للوصول الى القاتل المجهول الذى قتل الجدة العجوز وسرق مصوغاتها وكانت المفاجأة انهم اكتشفوا ان أحدا لم يكن يتردد عليها فى الأيام التى مضت قبل الحادث سوى حفيديها على وعليوة.. وانحصرت شبهات رجال المباحث فى الاثنين لظروفهما وتعطلهما عن العمل.

وعندما ذهب ضابط المباحث الى شقتهما ليواجههما وبمجرد أن فتح له عليوة الباب..

— حتى قال منهارا: سأعترف.. أنا الذى قتلت جدتى..

لكن المفاجأة أن على قال: بل أنا الذى قتلتها.

— قال عليوة وهو يعترف: ان الشيطان هاجمه ذات ليلة وأقنعه بأن يقتل جدته ليستولى على مصوغاتها.. فأخفى الفكرة عن على وظل يدرسها حتى استوعب تفاصيلها.. لكنه عندما ذهب ليقتل جدته وجد لديها إحدى جاراتها فمكث عدة دقائق ثم انصرف.



سكت عليوة والحيرة على وجهه..

— ثم أضاف: الغريب يا حضرة الضابط أننى لا أذكر ما حدث بعد ذلك لكن جدتى قتلت.. فلا بـد أننى ذهبت اليها مرة أخرة وقتلتهـا. ولابد ان هذا سبب لى صدمة فلم أعد أذكر كيف حدث ذلك.

كان اعترافه كاملا.

لكن اعتراف على كان مفاجأة بحق..

●●●

قـال على: بل أنا القـاتل.. فقـد أقنعنى الشيطان بنفس الفكـرة فى نفس الليلة وأخفيت الفكرة عن عليوة وبعد أيام كمنـت أمام منزل جدتى شاهدت عليوة يدخل.. فـانتظرت حتى خرج ثم خرجت بعده إحـدى جارات جدتى.. وهنـا طرقت بـابها.. فتحت لى.. رحبت بى.. وذهبت لتعـد لى الشـاى.. لكن شيطانى جعلنى أطبق بيدى على عنقها ولم أتركها إلا جثة هامدة.

صرخ عليوة: بل أنت تقول ذلك.. حتى لا يتم القبض على.. أنا القاتل..

— رد على: بل أنا القاتل.. ومعى دليل إدانتى.

سأله الضابط: وما هو؟

— أسرع على إلى دولاب ملابسه ليخرج لفافة قدمها الى الضابط..

وقـال: هـذه هى مصـوغـات جدتـى المسكينة.. لقـد قتلتهـا وسرقتهـا واستحققت لعنة الله.. ومشنقة الاعدام.

●●●

هكذا أحيل القاتل الفعلى على الى محكمـة الجنايات.. أما القـاتل فى خياله عليوة فمازال حرا يعاقب نفسه فى اليوم ألف مرة.. لأنه قتل.. فى الخيال.



صرخ الموظف الكبير من الفـزع عنـدما عـاد من عملـه الى شقتـه بحى المهندسين. وما إن فتح باب الشقة حتى عثر على خادمته العجوز ملقاة على الأرض.. جثة هامدة وسط بركان من الدماء!

وأسرع فى الحال يتصل بـرجـال المبـاحث الـذين هـرعـوا الى الشقـة ليكتشفوا أن القـاتل المجهول ارتكب جـريمته بـدافع السرقة.. فقـد وجدوا بعض محتـويات غـرفة النـوم مبعثرة. وخمنـوا أن الخادمة البـائسة ربما تكـون قـد فـاجأت اللص المجهـول.. فلم يكن أمـامـه سـوى أن يطعنهـا بالسكين.. خمس عشرة طعنة قاتلة.. ثم يلوذ بالفرار!

وقبل أن ينقضى اليوم.. كان رجال المبـاحث قد ألقوا القبض على القاتل المجهول!

قال ضابط المباحث وهو يسلم القاتل الشاب الى وكيل النيابة لقد أكدت التحـريات التى قمنـا بها فور إبـلاغنـا باكتشـاف الجريمة أن هـذا المتهم الشاب الذى يعمل طباخـا تربطه صلة صداقة بـابن الخادمة القتيلة.. ولقد سبق منها أن بحثت لـه عن عمل لأنه يمر بضائقـة مالية.. وهو ليس شـابا مستقيما فقـد سبق أن ارتكب عـدة سرقـات وقـد اشتهـر بسـوء السيرة والسمعـة.. وقد اعترف لى بعـد القبض عليه بأنـه يذهب الى منـزل الموظف



الذى تعمل به الخادمة المجنى عليها. ففتحت لـه الباب وأذنت له بأن يدخل وطلبت منه أن يساعـدها فى بعض الأعمال المنزلية بـالمطبخ.. لكنه بعد قليل أخبرها بـأنه سيذهـب الى دورة المياه.. ثم غـافلها وتسلل الى حجـرة النوم فـوجد بها جهـاز تسجيل فأخـذه.. وبينما هـو يهم بالخروج فـوجىء بها تصرخ مستغيثـة. انقض على رقبتهـا وجـذبها الى حجـرة الطعـام لكن محاميه.. وهـو شاب أيضا.. علاء زكى وقف ليقـول: حضرات المستشارين والقضاة.. اسمحوا لى أولا بأن أقرأ عليكم نص تقرير الطبيب الشرعى الذى فحص جثة الخادمة المجنى عليها.. لقد قـال ان اصابتها كانت متعددة وأنه يوجد فى منطقة الـوجه والعنق جروح حادة.. كما يوجـد بالطرفين العلويين خمسة جـروح قطعية وحادة.. ويـوجد جرح حـاد بمنطقة الصدر وثـلاثة جـروح بـالبطن.. وقـرر الطبيب الشرعى أن هـذه الاصـابـات تحدث من المصـادمة أو الطعن بجسم أو أجسـام صلبة ذات حـافة حـادة كسكين أو مطـواة أو مـا فى حكمهما.. أمـا الكـدمـات بـالـرأس والكتف اليسرى فهى اصابـات رضية تحدث من المصـادمة بجسم صلب راض أيـا كان نـوعه.. والـوفاة اصـابية بسبب الجروح والتهتك الـذى حدث بـالأوعية الـدمويـة الرئيسية والأحشاء.

كانت هيئة المحكمة برئاسة المستشار عبدالله محمد مرسى.

■ قال المحامى للمحكمـة: يا حضرات القضاة.. لقد أكـد تقرير الطبيب الشرعى أن الخادمة المجنى عليهـا تلقت خمس عشرة طعنة.. بينما المتهم فى الاعترافـات يؤكـد أنه طعنهـا ٤ طعنـات فقط.. فمن هو الصـادق.. الطبيب الشرعى.. أو القـاتل؟.. ثم دعونـا يا حضرات القضـاة نبحث عن ذلك اللص الذى يتسلل الى منـزل فيعثر على نقود ومجوهـرات لكنه يتركها جـانبا. ولا يأخذ سوى علبة حلوى ما يلبث أن يلقى بها فى صندوق القمامة؟.

أين هذا اللص الغريب الطبـاع والأطوار.. والحقيقة أنه لايـوجد سوى فى الاعتراف الوهمى الـذى تضمنته أوراق الشرطة.. ومن أجل ذلك كلـه أطالب ببراءة موكلى من تهمة القتل!

■ سـأل وكيل النيابة المتهم : كيف ارتكبت جريمتك؟



تردد المتهم فى الاجابة.. لكنه سرعان ما ألقى بقنبلة..

— اذ قال ببساطة: أنا لم أرتكب هذه الجريمة.. أو أى جريمة أخرى؟

■ سأله وكيل النيابة: لكنك اعترفت بارتكاب الجريمة فى محضر الشرطة؟

— قال المتهم الشاب: يا سيدى لقد كنت أعمل فى شقة عندما حضر رجال المباحث وألقوا القبض على.. وأخذوا يحاصروننى بالأسئلة فانهارت أعصابى.. ولم أجد أمامى سوى أن أوافقهم على رأيهم بأننى القاتل.. ولقد طلبوا منى أن أصور لهم كيف ارتكبت الجريمة. فقلت إننى ذهبت اليها ودققت جرس الباب. وعندما فتحت سألتها عن ولدها وعما اذا كان لديها عمل لى. فطلبت منى أن أساعدها فى بعض الأعمال المنزلية بالمطبخ. ثم غافلتها وتسللت الى حجرة النوم حيث أخذت أعبث بمحتوياتها حتى عثرت على بعض النقود والمجوهرات فاستوليت على كمية منها وعلى جهاز تسجيل.. وأثناء خروجى من حجرة النوم بالمسروقات.. فوجئت بها فى وجهى.

■ وأخذت تصرخ بصوت مرتفع حرامى.. حرامى!

فأسرعت أجذب سكينا كانت بالمطبخ وقمت بطعنها أربع طعنات.. الأولى فى رقبتها والباقى فى بطنها ثم ذهبت الى حجرة الطعام فوجدت بها علبة حلوى.. فتركت المسروقات وأخذت علبة الحلوى وأسرعت خارجا.. لكنى ألقيت بها فى صندوق القمامة!

هكذا كان اعتراف القاتل..

أما النيابة: فقد قررت حبسه وتقديمه الى المحاكمة بتهمة القتل.. وعقوبتها الاعدام

فى المحكمة وقف المتهم ليصرخ بأعلى صوته..

■ أنا لم أقتلها!

— سألوه: ماذا أذن؟

■ قال: لقد اعترفت كما طلب منى رجال المباحث. ولم أكن أدرك ان ذلك





سوف يقودني الى حبل المشنقة.. وبصراحة فإنني تنتابني حالات جنون تنقطع.. وأرجو من المحكمة ان تعرضني على الطب الشرعي.. رئيس المحكمة وعضوية القاضيين المستشارين حسن السيد حسن وعبدالحي السيد العشرى تستمع باهتمام الى مرافعة الدفاع.

عندما توقف المحامي الشاب علاء زكي فجأة وهو يقرأ تقرير الطبيب الشرعي.

■ وصاح: هذا هو دليل براءة موكلي..

من ارتكاب الجريمة. اذ أن كل ما قرره أمام النيابة العامة لا يخرج عن قوله أنه أجبر بواسطة الشرطة على الإدلاء فى أقواله بتصويره الحادث يؤخذ منه على أنه هو مرتكبه.. وقد اعتبرت النيابة هذا القول منه.. على أنه اعتراف بارتكاب الحادث.. وواصلت النيابة تحقيقاتها على أساس صحة هذا القول.. وصدوره عن إرادة حرة أمامها.. ثم طلبت منه تصوير كيفية ارتكابه الحادث.

فى حين أنه أنكر أمامها أنه ارتكبه.. وقد تأيد عدم مطابقة هذا القول من المتهم لواقع الحال فى الدعوى.. اذ إنه قرر أنه طعن المجني عليها أربع طعنات فقط فى حين أنه يثبت من تقرير الصفة التشريعية أن بالمجني عليها أكثر من خمس عشرة طعنة وهو ما لم يذكره المتهم فى الاعتراف المزعوم الذى نسبته اليه النيابة.

وأضافت المحكمة.. ومن ناحية أخرى فإن هذا الاعتراف لا يطابق الواقع من حيث عدم وجود سرقة لأن ابن صاحب الشقة قرر عدم وقوع سرقة مطلقا على محتويات الشقة.. وهذا الاعتراف المزعوم لا ينطبق والمنطق.. اذ لا يتصور أن يترك النقود والمجوهرات ويسرق علبة شيكولاته.. ويرتكب جريمة قتل من أجل الفرار بتلك العلبة التى يلقى بها فى سلة القمامة!

ونطقت المحكمة بحكمها:

حكمت المحكمة حضوريا ببراءة المتهم!





فجأة تعالت الصرخـات الملهوفـة ليحتشد سكان حـارة «فكيهة» وسط الحارة. وهم فى انزعـاج وفضول لمعرفـة سبب الصراخ الذى يمـزق القلوب والـذى كـان مصدره بيـت «فوزى افنـدى» أحـد أهم شخصيـات الحارة.

وارتفع صـوت الجزار «منعم» الجهورى متسـائلا: اللهم اجعله خيرا.. إيـه الخبر يا جماعة؟

ردت امـرأة من الجيران: هذا صـوت «الست أم فارس».. يمكن زوجهـا يؤدبها؟

نهرتها عجـوز من نـافذة مقـابلـة: والله انت التى تحتـاجين إلى الأدب.. «الست أم فارس» ست كاملة ولم يمد زوجها يده عليها أبدا.

وقطع الحوار بـاب البيت الـذى انفتـح فجأة لتخـرج منـه «الست أم فارس» بملابس البيت.

وهى تولول صارخة: قتلوك يا كبدى !

***

وربما كان آخر مـا يتوقعه سكان حـارة فكيهة الواقعة فى هـذه المنطقة الشعبية من حى الهرم. أن تحدث جريمة قتل فى حارتهم.

كان أهل الحارة قد تعودوا على المشـاحنات التى تنشأ بين نسوة الحارة أغلبها بسبب «لعب العيـال» وكانـوا يتقبلون أن تحدث مشـاجرة فجأة على المقهى الـواقع قرب نهايـة الحارة بين بعض رواده. وقد تطير فى المشـاجرة

بعض مقاعد المقهى وزجاجات المياه الغازية فوق رؤوس المتشاجرين. وقد يستوعبون أن يعتدى «بلطجى» أو فتوة على أحد الضعفاء من أهل الحارة. لكن أن تحدث جريمة. ويروح ضحيتها الطفل «فارس» ابن السنوات العشر. فهذا ما لم يصدقه أحد لولا أن «مختار الخردواتى» أكد للجميع أنه علم من مصدر موثوق منه - وكان الجميع يعلمون أن هذا المصدر ليس سوى صديقه فرغلى المخبر فى قسم الشرطة - أن رجال الشرطة عثروا على حقيبة ملقاة على رصيف محطة القطار القريبة، عندما فتحوها وجدوا بداخلها جثة الغلام «فارس» مخنوقا !

وفى مساء اليوم التالى، كانت الشائعات قد أصبحت حقيقة، وخرج أهل الحارة من سرادق العزاء الذى أقامه «فوزى افندى» وهم يضربون كفا بكف ويتبادلون الحكايات عن تفاصيل الجريمة التى روعت حارة فكيهة.. والتى أسماها بعضهم فيما بعد.. «جريمة الكلب»!

***

كان القاتل قد ظهر ذات يوم عند بداية الحارة.. وهو يمسك بيده حبلا، فى نهايته كلب ضخم الجثة كأنه وحش مفترس.. وتجمع أطفال الحارة حوله. ينظرون بدهشة إلى هذا الشاب الغريب وبخوف إلى تابعه الكلب المخيف!

وزعم الشاب الذى كان فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ويدعى «جمال» أنه يسكن فى منطقة «أم المصريين» القريبة من عائلته.. وقال فى حديث سريع مع «أحمد بوستة» جرسون المقهى، انه يبحث عن حجرة للإيجار يضع فيها بعض الكلاب التى يهوى تربيتها.. وأشار عليه «أحمد بوستة» أن ينتظر على المقهى حضور «فوزى افندى» فهو يمتلك بيتا من ثلاثة طوابق. صحيح ان عائلته تشغل طوابق البيت كاملة، لأن لديه ما شاء الله .. العدد الوفير من الأولاد والبنات، لكن «أحمد بوستة» يعلم ان ثمة حجرة شاغرة فوق سطح البيت. لا يستخدمها أهل «فوزى افندى»، والذى لن يمانع على حد قول «أحمد بوستة» من الانتفاع من هذه الحجرة وتأجيرها.. حتى وإن كان يسكنها.. الكلاب!

وجلس الشاب جمال على مقعد خارج المقهى ينتظر «فوزى افندى».. بينما أخذ البعض يختلس النظر إليه.. وهم يتعجبون من هذا الفتى غريب



الأطوار الذى يـريد استئجار حجرة لكـلابه بينما يتكدس بعض سكان الحارة فى حجرة واحدة!

ولم يطل انتظار جمال..

وسرعـان ما ظهـر «فوزى افنـدى» فأسرع الجرسـون «أحمد بوسـتـة» يعرفه بالشاب جمال الـذى جلس يتحدث فى هدوء وتحت قدميه يقبع الكلب المتوحش. والذى كان كلما زأر فجأة ربـت على عنقه بأصبعه.. فيهدأ الكلب تماما ويسكن. حتى يخيل للناظر انه تحول إلى تمثال من الحجر!

* * *

وأيضـا لم تطل المناقشـة بين «جمال» و«فـوزى افندى» الـذى استمع بانتباه إلى حديث جمال..

وعندما انتهى قال له: إيجار الحجرة عشرون جنيها فى الشهر.

رد جمال: موافق

فقـال له فـوزى «افندى»: وعليك أن تـدفع لى خمسمائة جنيـه مقدمـا للإيجار..

عاد جمال ليقول ببساطة: موافق!

هكذا تم الاتفاق بسرعة بين الاثنين، وفى صباح اليوم التالى ظهر جمال فى «حـارة فكيهة» ولكن هـذه المرة بدون كلـب، وعندمـا قام بتسليم «فـوزى افندى» مبلـغ الخمسمائة جنيه، نهض الأخير إلى دولاب فى الصـالة وأحضر مفتاح حجرة سطوح البيت.

ولم يظهر جمال مـرة أخرى إلا بعد أسبوع من استئجـار الحجرة، وفى هذه المرة حضر فى العـاشرة صباحا وكـان «فوزى افنـدى» فى عمله، وبينما هو يصعـد درجات البيت، تـوقف أمام شقـة «فوزى افندى»، حيـث كانت «الست أم فارس» زوجته فى مناقشة حامية مع سباك كانت تريد منه إجراء بعض الإصـلاحـات فى الشقـة، لكن السبـاك طلب مبلغـا كبيرا.. وعنـدمـا ساومته انصرف ثائرا.

وقبل أن تغلق الباب تقدم جمال من «الست أم فارس».

وقـال لها بلهجة مهـذبة: اعـذرينى على الفضول.. هل يمكن أن أعـرف ما هى الأشياء التى تريدين إصلاحها؟

وقفت «الست أم فارس» تحدق مستنكرة فى هذا المستأجر الغريب. لكن



طريقة حديثه ونظراته التى لم تكن ترتفع عن الأرض طمأنتها.

— فقالت: لا شىء.. صنبور المطبخ يحتاج إلى إصلاح.

رد عليها قائلا: لو سمحت لى يا والدتى.. قد يمكننى إصلاحه!

فى البداية ترددت لكنها سرعان ما حسمت رأيها. فمن المؤكد أن زوجها «فوزى افندى» لن يغضب إذا سمحت لهذا الشاب والذى فى عمر بناتها أن يصلح الصنبور. ويوفر الأتعاب التى كان سيتقاضاها السباك. ثم انه استأجر حجرة فى بيتهم فأصبح من أقرب الجيران، والجيران — فى الأحياء الشعبية ـ أهل قبل وبعد أى شىء!

***

عندما عاد « فوزى افندى » من العمل وبينما كان يتناول طعامه.. ظلت زوجته « الست أم فارس » تطنب له فى أخلاق الساكن الجديد جمال وشهامته ومهارته. فقد أصلح الصنبور فى دقائق، ورفض دعوتها لتناول كوب من الشاى.. وأسرع فى خجل كالفتيات إلى حجرته فوق السطوح.

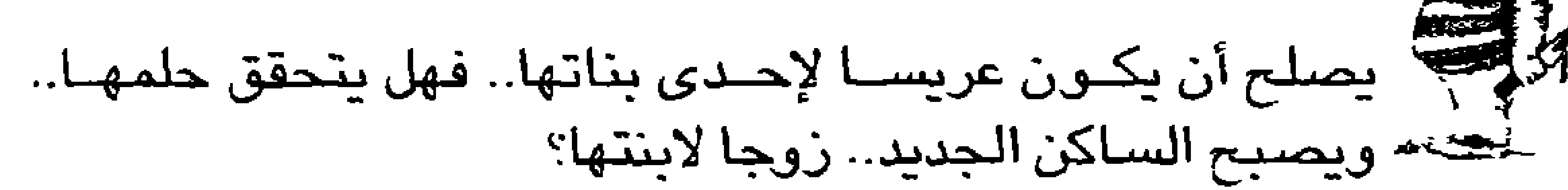
وعندما خرج «فوزى افندى» فى موعده التقليدى إلى المقهى، عرج إلى جمال فوق السطوح، ودعاه إلى تناول طعام العشاء فى شقته. وقبل جمال الدعوة بعد إلحاح من «فوزى افندى» الذى لم ينس وهو يهبط السلم أن يشكره على إصلاح الصنبور.

وبعد العشاء اجتمعت أسرة «فوزى افندى» على جلسة سمر مرحة وتجمع الأولاد والبنات حول « جمال » الذى أخذ يحدثهم عن ولعه بتربية واقتناء الكلاب. وعن الأصناف المختلفة التى عرفها من هذه الحيوانات.

وعندما انتهت السهرة.. كان جمال قد ترك أثرا طيبا فى نفوس أفراد أسرة «فوزى افندى» خاصة الصبى الصغير فارس. الذى بهره «جمال» بحديثه عن وفاء الكلاب وكان الصغير بدوره يحب الكلاب.

لكن أهله لم يعطوه الفرصة ليمارس هذا الحب. لكن هذا هو جمال يتيح له فرصة ذهبية لأن يحقق حلمه باقتناء كلب من نوع «الوولف»

أما الشخص الآخر الذى بات الليل يفكر فى جمال.. فقد كانت «الست أم فارس» نفسها! وقد رأت فيه بعين الأم الخبيرة ـ شابا ناضجا مهذبا ـ



يصلح أن يكـون عريسـا لإحـدى بناتها.. فهل يتحقق حلمهـا.. ويصبح الساكن الجديد.. زوجا لابنتها؟

***

مع الأيام.. أصبح «جمال» وكأنه واحـد من أفراد أسرة «فوزى افندى»، حتى انه أصبح عاديا أن يتردد على البيت فى غير حضور صاحبه.

وكـان «فوزى افنـدى» بدوره يثق فى جمال ويعـاملـه على انه ولـد من أولاده، خـاصة بعـد أن لمحت لـه زوجته «الســت أم فارس» ذات ليلـة عن رغبتها فى أن تزوج جمال لإحدى بناتها.

ولو كـانت هذه قصة فيلم عـربى أو أحد مسلسلات التليفزيـون لكان مؤلفها قد سار بها إلى إحدى النهايـات «إياها» كان ينشأ بالفعل قصة حب بين الساكن الشاب وإحدى بنات «فوزى افندى» ويتزوج الاثنان ويعيشان فى «التبات والنبات» وينجبان الأولاد والبنات.. ثم تظهر على الشاشة كلمة.. «النهاية»!

لكنها كانت قصـة حقيقية.. وكان مؤلفها «القدر» يـدبر لها نهاية أخرى مأساوية يعجز مؤلفو السينما والتليفزيون عن تخيل مثلها!

***

فلم يمض أكثر من شهرين.. حتى فـوجىء «فوزى افندى» بجمال يدق باب شقته . ويخبره أنه يريد الحديث معه فى «أمر هام فقال له مبتسما وهو يخمن مضمون هذا الحديث الهام : إذن ادخل لنتحدث .

— لكن جمال قال له بجفاء : الأفضل أن نتحدث على المقهى .

قال له «فوزى أفندى» فى حيرة : لكن المقهى ليست للأحاديث الهامة .

— رد عليه جمال بنفس اللهجة الجافـة : بل المقهى يصلح لأى حديث.. وسوف أنتظرك هناك .

ارتدى «فـوزى أفندى» مـلابسه فى سرعة وارتبـاك. ثم أسرع إلى المقهى حائرا من أمر الفتى جمال . الذى ما إن جلس إليـه حتى فوجىء به يقول له لقد دخلنا بالمعروف .. لنخرج بالمعروف ..

— سـأله «فوزى أفندى» فى دهشـة : ماذا تقصد ؟

قـال «جمال» : أقصد الحجـرة التى أسكنها فى بيتك .. إنها لا تنـاسبنى ولا أريد الاستمرار فى استئجارها ..

فوجىء « فوزى أفندى » .

— عاد يسأله وهو يبتلع ريقه تعنى أنك لم تعد تريد السكن فى الحجرة ؟

قال له جمال بعزم : نعم .

ظل « فوزى أفندى » يحدق فى الشاب وكأنه عاجز عن فهم ما يقول .

— وأخيرا قال بيأس . هذا « لعب عيال » إذن ؟

سأله جمال : ماذا تقصد ؟

— انفجر « فوزى أفندى » قائلا . بيوت الناس يا ابنى ليست لعبة تدخلها هكذا ببساطة وتفارقها فجأة بمنتهى السهولة ؟

قال له جمال ببرود . هل تريد أن أظل مستأجرا للحجرة رغما عنى.. أى قانون يقول هذا ؟ أننى ببساطة أريد الرحيل .. فأرجو أن تعطنى بقية الخمسمائة جنيه التى دفعتها لك !

كانت عبارته هذه كالزيت ألقى فوق النار ..

نهض « فوزى أفندى » فجأة من على مقعده ثائرا ..

وقال لجمال قبل أن ينصرف كعاصفة هوجاء : ليس لى حديث معك.. احضر لى أحدا من الكبار من أهلك لأتفاهم معه .. ها .. يريد ما تبقى من الخمسمائة .. لعب عيال حقا!

***

تقول أوراق القضية رقم ٣٨١٠ جنايات أن جمال أحضر خاله وزوج خالته لـ «فوزى أفندى» للتفاهم معه فى شأن استرداد بقية المبلغ الذى دفعه له.. وتم الاتفاق على أن المبلغ المتبقى هو مائتا جنيه فقط. تسدد بواقع عشرين جنيها فى اليوم الخامس من كل شهر لكن «فوزى أفندى» ظل يراوغ الشاب «جمال» فى سداد المبلغ.

وتكمل أوراق القضية قائلة : وغلب اليأس على جمال فى أن يحصل من «فوزى أفندى» على دينه. فعمد إلى إرواء ملكات ذلك اليأس الذى ملأ قلبه بالانتقام منه فى أعز ما لديه وهو طفله الصغير «فارس» ابن الأعوام العشرة.

وقبل أسبوع من الحادث ذهب إلى سوق السلاح بالعتبة الخضراء واشترى خنجرا لاستعماله فى قتل الطفل الصغير فارس.. وقبل أربعة أيام



على الحادث أخذ يقلب الأمر على وجوهه.. حتى استقر على ارتكاب جريمته!

* * *

أخفى جمال الخنجر بين طيات ملابسه. واصطحب معه أحد كلابه. وسار قاطعا الطريق إلى حارة فكيهة وقد انتزع الشيطان من قلبه كل ذرة خير أو إنسانية أو رحمة. وسرعان ما كان يدق باب «فوزى أفندى» الذى لم يكن موجودا. ورحبت به «الست أم فارس» ودعته إلى الدخول وأسرعت تعد له الشاى. لكنه جلس صامتا وبريق غريب يغلب على نظرات عينيه. ثم نهض فجأة مغادرا البيت لكنه قبل أن يقطع السلالم. فوجىء بالطفل الصغير «فارس» يهبط ويلحق به وهو يحمل فى يديه إناء..

— فسأله : إلى أين ؟

رد الطفل فى براءة : ذاهب لشراء فول ..

أخذ جمال يحدق فى وجه الطفل بنظرات مخيفة لم يدركها الصغير. وقال له شيطانه أن الأقدار تسوق انتقامه إلى يديه. فها هو الصغير أمامه وحيدا.

— ابتسم له ابتسامة شاحبة وقال : ألم تكن تتمنى الحصول على كلب؟

رد الصغير فرحا : نعم .

قال له : إذن .. تعال معى !!

* * *

فى أوراق القضية ..

يقول المدعو ممدوح وهو صديق للمتهم جمال : فوجئت بجمال يدق على باب بيتى. وقال لى إنه استدرج الطفل «فارس» معه. وأنه سوف يقتله انتقاما من أبيه «فوزى أفندى» الذى يماطل فى سداد بقية المبلغ. حاولت أن أنصحه وأن أثنيه عن عزمه بارتكاب جريمة قتل طفل برىء لا ذنب له فى أفعال والده.

لكنه لم يستمع إلى نصيحتى وأسرع بمغادرة البيت مع الطفل فارس الذى كان ينتظره خارج البيت. فما كان منى إلا أن أسرعت بالذهاب إلى زوج خالة جمال وأخبرته بالأمر فجاء معى على عجل. وتمكنا من اللحاق بجمال الذى كان يسير ومعه الطفل فارس فى شارع البحر الأعظم. وقام



زوج خالته بأخذ الخنجر منه. وطلب من الطفل أن يعود إلى بيت أهله بسرعة.

وفى نفس أوراق القضية يكمل زوج خالة جمال ما حدث قائلا : أخذت جمال إلى محلى وظللت أنصحه بأن يرتدع عن هذه الفكرة المجنونة.. وفى نفس الوقت طلبت من صديقه ممدوح أن يلحق بالغلام حتى لا يتوه فى الطريق وأن يوصله إلى بيت أهله. فذهب بالفعل لكنه سرعان ما عاد ليقول لى أنه لم يعثر على الطفل فارس وهنا تطوع جمال بأن يذهب للبحث عن الصغير بعد أن أكد لى أنه انتزع من رأسه فكرة مسألة الانتقام تماما.

وهكذا خرج الذئب من جديد يسعى خلف الحمل الغافل!

***

فى اعترافاته بالنيابة قال جمال : تمكنت من اللحاق بالطفل فارس وهو يمشى فى ميدان الجيزة. وأخذت ألاطفه وإحايله بأننى سوف أعطيه الكلب هدية. فاقتنع الصبى وسار معى وقررت أن أعرج على منزل خالتى لأوهمهم بأننى عدلت عن فكرة الانتقام. ثم عدت مع الصغير قاصدين بيتى.. وما إن وصلنا إلى البيت.. حتى فوجئت بالصغير يتوقف فجأة ويرفض الصعود معى.. ويبدو أنه استشعر الخطر من نظرات عينى حاولت أن أدفعه ليصعد لكنه رفض ضربته على يده وصرخ.. وهنا جذبته إلى أسفل السلم، ووضعت يدى اليمنى فوق فمه لأمنعه من الصراخ. وظللت أقبض بيدى اليسرى على رقبته بقوة حتى جحظت عيناه وسقط على الأرض وقد لفظ آخر أنفاسه، فأسرعت بإحضار حقيبة كبيرة وضعت جثة الطفل بها، وحملتها مخترقا شارع المحطة، ثم وضعت الحقيبة على رصيف محطة القطار، وأسرعت هاربا. حتى ألقى رجال الشرطة القبض علىّ.

***

إنه فى يوم الثلاثاء الموافق ٩ مايو من عام (٠٠٠)

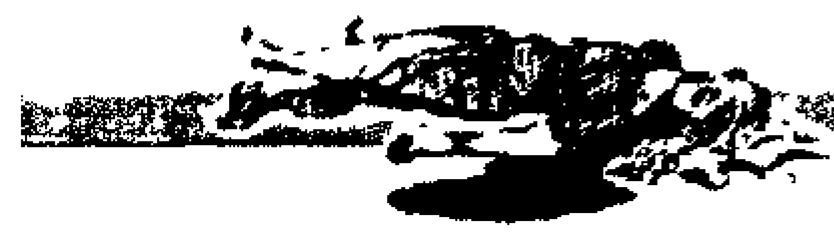
عقدت محكمة جنايات الجيزة جلستها برئاسة المستشار أحمد صادق يوسف رئيس المحكمة، وعضوية المستشارين ابراهيم عبدالسلام طه ومحمد فريد الزارع وحضور أشرف شمس الدين وكيل النيابة..

قالت المحكمة فى حيثيات حكمها: حيث إن المتهم أنكر فى جلسة المحاكمة وطلب محاميه استعمال الرأفة ونفى سبق الإصرار، وحيث إن المتهم عمد



إلى إزهاق روح المجنى عليه وجذبه وهو الغلام الضعيف الذى لا يملك قوة دفع والمقاومة، واستغل المتهم هذا الضعف بالنسبة لقوته الجسمانية، وأجهز على المجنى عليه، بأن كمم فاه وأطبق بيده على رقبته، ولم يتركه إلا جثة هامدة وحيث انه أعد للجريمة قبل أربعة أيام على ارتكابها، الأمر الذى يقطع بنيته فى سبق الإصرار.

حكمت المحكمة حضوريا وبإجماع بمعاقبة المتهم «جمال» بالإعدام شنقاً.





نهار عادى ذلك الذى عاشته عائلة «أبو نون» منذ أن بزغت شمس الصباح على بيوتهم القليلة المصنوعة من الطين، مثلها مثل كثير من بيوت المزارعين فى صعيد أسيوط، خرج رجالهم ونساؤهم وأطفالهم ككل يوم إلى حقولهم، يزرعون ويكدحون تحت القيظ، عندما انتصف النهار كانوا قد رطبوا الأرض السمراء بأمطار العرق التى سالت من جباههم. وعندما مال قرص الشمس نحو المغيب.. تجمعوا فى ركن أحد الحقول ليبدأوا مهمة أخرى شاقة، ضرورية لأهل الصعيد، وهى «مخمرة الطين» الذى يحولونه فيما بعد لطوب يبنون به بيوتهم المتواضعة.

وما هى إلا دقائق وبينما الرجال منهمكون فى عملهم، حتى صاح أحدهم وهو يرنو ناحية الطريق الذى يقطع الزراعات :

خير .. اللهم اجعله خيرا.

توقف الرجال عن العمل ورفعوا رؤوسهم ناظرين نحو نفس الاتجاه.

وتمتم كبيرهم: لا أظن انه خير على الإطلاق!

وكان ظن الرجل فى محله.. لكنه لم يكن يتخيل أبدا انه لم يبق أمام عائلة أبو نون بأكملها سوى دقائق قليلة.. وتنمحى تماما من على ظهر الأرض!

***

على الناحية الأخرى من الطريق الزراعى..

كان أربعة أشخاص من عائلة «أبو عميرة» يتقدمون نحو حقول عائلة

«أبو نــون» والشرر يقدح فى عيونهم وهم يحملون المدافع الرشاشة. ومن خلفهم يسير خمسة أشخاص آخرين من أعوانهم المدججين بالسلاح.

ومن على شجرة بعيدة نعق غراب بنذير الشر الذى فاحت رائحته فى الهواء فجأة.. وانقبض قلب «أمينة» وهى جالسة فى مكانها وسط الحقل على مقربة من زوجها وشقيقها. برغم أن القدر شاء لها أن تكون الوحيدة على قيد الحياة من عائلة «أبو نون».

ولم يكن هناك أحد فى البلدة والقرى المجاورة يستهين بعائلة «أبو عميرة» ونفوذها وسطوتها. وكان الجميع يعلمون أن هناك ثأرا قديما يعود لسنوات بين عائلة «أبو عميرة» وعائلة أخرى كبيرة. راح ضحيته عدد كبير من أفراد العائلتين.

ولم تكن لعائلة أبو نون علاقة بهذا الثأر من قريب أو بعيد.. لكن قدرهم شاء أن تكون بيوتهم وحقولهم على الحدود الفاصلة بين العائلتين المتنازعتين، ولسبب ما اعتقدت عائلة أبو عميرة.. أن عائلة أبو نون كانت تنقل أخبارهم وتحركاتهم إلى العائلة الأخرى.. فأضمروا لهم الشر.

وكان يمكن للأمور أن تتوقف عند هذا الحد، فلم يكن أحد يتصور أن تترك عائلة كبيرة مثل عائلة «أبو عميرة» ثأرها الأصلى، لتدخل فى نزاع مع عائلة صغيرة العدد، لولا أن أحد أفراد عائلة «أبو عميرة» اشترى قطعة أرض من أحد أفراد عائلة «أبو نون» ثم اختلف الاثنان على مساحة الأرض. فقام البائع بصفع المشترى على وجهه.

وهنا.. قامت القيامة!

إذ كيف يجرؤ فرد من عائلة «أبو نون» على صفع أحد أفراد عائلة «أبو عميرة»؟

وكانت هذه الصفعة إيذانا بالمذبحة التى راح ضحيتها ١١ شخصا هم أفراد عائلة «أبو نون»!

***

الجريمة البشعة تمت فى لحظات.

تقدم أحد أفراد عائلة «أبو عميرة» من شقيق أمينة.





وقال لـه بصوت أجش: «هـات قصبة نقيس بها الأرض التى بعتمـوها لنا».

وبرغم ان شقيق أمينة رأى الشر فى عيون أفـراد عائلة «أبو عميرة» فإنه سـار خطـوات ليحضر «القصبة» وهى أداة قيـاس الأرض عنـد المزارعين، وما أن عاد بها حتى فوجىء بوابل من طلقات الرصاص ترديه قتيلا.

وفى نفس اللحظة كان أفراد عائلة «أبو عميرة» الأربعة يطلقون مدافعهم الرشاشة على بقية أفراد عائلـة «أبو نون» رجالهم ونسائهم وهم يقفون فى أماكنهم بلا حول ولا قـوة. فسقط منهم ١١ رجلا وامرأة قتلى، ولأول مرة يروون أرضهم بدمائهم.

لم تكن لديهم فرصة للمقاومة أو حتى للصراخ.

كان المشهد رهيبـا بحق.. وقد تناثرت جثث النسـاء والرجال فى الحقل، وفى اللحظـة نفسها التى أنهى فيهـا الجناه مهمتهم الـوحشية واستـداروا عائدين من حيث جاءوا.. نهضت من بين الجثث المضرجة فى دمائها امرأة فى عينيها رعب وفزع الدنيا كلها..

كانت أمينة نفسها..

وكـانت قـد ارتمت فـوق جثة شقيقهـا الـذى كـان أول القتلى.. وبينما احتضنته مولولة سقطت إلى جوارها جثة زوجها!

***

أسرعت أمينة تجرى كـالمجنونة نحو الطريق الـرئيسى المؤدى إلى نقطة الشرطة الرئيسيـة.. وهى تصرخ كحيوان جريح وقد انفطـر قلبها على أفراد عائلتهـا.. الذين كانوا قبـل دقائق يعملون ويتغنون فى مـرح، وأصبحوا فى غمضة عين فى عداد الأموات.

أسرعت الشرطة إلى مكان الحادث..

وفى مثل هذه الأحوال فإن أحدا لا يتقدم للشهادة فى حوادث الثأر، هكذا هى العـادة.. لكن المفاجأة ان الشرطـة وجـدت مزارعـا كان يعمل فى حقلـه القريب.. يتقدم بكل شجاعة ليبلغ بأنه شاهد الجريمة بعينيه وهو يعمل فى حقله..





وفى اليوم التالى..

كان الرائد عبدالحفيظ رئيس مباحث مركز أسيوط يندفع مع مجموعة من رجاله.. نحو أحد حقول الموز المملوكة لعائلة أبو عميرة.. حيث تمكن من القبض على الجناه الذين كانوا يختبئون داخل زراعات الموز. ومعهم الأسلحة التى استخدموها فى جريمتهم.

وتحقق النيابة مع المتهمين التسعة.. وفى النهاية تحيلهم جميعا إلى محكمة الجنايات.

وفى المحكمة يحاول الدفاع عن المتهمين الحصول على البراءة لهم.. وحجته فى ذلك قرص الشمس!

* * *

المفاجأة الأولى فى المحكمة ان المتهمين أنكروا جميعا ارتكابهم الجريمة.

ووقف محامى المتهمين ليترافع عنهم قائلا: لقد اعتمدت النيابة على إقامة الاتهام على شهادة الشاهدة أمينة التى قالت ان الحادث وقع قبل غروب الشمس. وكانت الرؤية واضحة.. بينما الحقيقة ان الحادث وقع بعد غروب الشمس فكيف أمكنها إذن أن تتعرف على شخصيات المتهمين؟

وأضاف المحامى: لقد شهد خفير نقطة الشرطة ان الشاهدة أمينة وصلت إلى نقطة الشرطة فى الساعة السادسة والنصف.. بينما كان أذان المغرب فى الخامسة إلا ثلاث دقائق.. كما انها قطعت طريقا طويلا واستوقفت سيارة أجرة لتصل إلى نقطة الشرطة.

* * *

لكن المحكمة كان لها رأى آخر!

فقد قالت فى حيثيات حكمها انه استقر فى يقين المحكمة ان الحادث وقع قبل غروب الشمس وفى وضح الرؤية.

وقالت المحكمة: إن سبق الإصرار جوهره الحالة النفسية التى يمر بها المجرم قبل ارتكاب جريمته.. وهو الهدوء والروية بأن يكون قد أتم تفكيره وعزمه على تنفيذ الجريمة.. وتحقيق العنصر النفسى بإعداد وسيلة الجريمة.. ورسم خطة لتنفيذها بعيدا عن ثورة الانفعال.

وقد أكدت أوراق القضية وجود خصومة ثأرية سابقة فضلا عما نشب



من نزاع حـول قطعة الأرض وما نجم عنـه من صفعة على الوجـه.. انتوى المتهمـون عقبها إزهـاق أرواح المجنى عليهم.. وفكـروا فى الخلاص منهم.. وعزمـوا على ذلك فى هدوء ورويـة وأعدوا الأسلحة واحتفظـوا بها.. ورسموا خطة جـوهرهـا الذهـاب إلى المجنى عليهم فى منازلهم قبل غـروب الشمس لتنفيذ جـريمتهم، وما أن ظفـروا بهم حتى أطلقوا عليهم وابـلا من الأعيرة النارية وأعملوا فيهم القتل وسفك الدماء حتى أجهزوا عليهم.

***

وفى النهاية أصدرت المحكمة حكمها بالقصاص العادل.

إعدام المتهمين الأربعـة الذين ارتكبوا جـرائم القتل، والأشغال الشـاقة لمدة عشر سنوات لأعـوانهم الخمسة الذين كـانوا يحرسـونهم أثنـاء ارتكاب الجريمة.



« مولاه الرباط » ؟

— « ألسطة الرباط .. يا ريس » .

كانت نداءات البحارة تأتيه عبر الرياح التى تدفع أمواج البحيرة. وهو فى جلسته هذه منذ الصباح لم يتحرك. يعبث بعصا صغيرة فى رمال الشاطىء، راسما خطوطا متشابكة لا معنى لها، تماما مثل هذه الحياة الكئيبة التى فرض عليه أن يعيشها.

لم يكن الجوع هو الذى يؤرقه.

وإنما كان « فضل » يهفو إلى تناول كوب شاى ساخن مع الرجال، فى عشة المعلمة «رابحة» المواجهة لشاطىء البحيرة. لكن لا مكان لعاطل فى العشة لا يملك ثمن الشاى أو المعسل. ولا يحمل فى جيوب سرواله سوى الخواء، وعلى وجهه الأسمر أسارير فقر ويأس.

« ما أشبه الدنيا بهذه البحيرة » !

هكذا كان « فضل » يحدث نفسه وهو يمسح بعينيه آفاق البحيرة الممتدة أمام ناظريه..

وقوارب الصيادين تظهر، وتختفى مع الرياح. «مليئة الدنيا بالخيرات تماما مثل أعماق البحيرة، لكن الحال على الأرض كما هو الحال عند



الصيادين ناس مكتوب عليها الشقاء والكد. وناس لها الخير والرزق الوفير دون تعب أو كلل. ناس تصيد وناس تأكل، قانون الأرض هو نفسه قانون البحر. السمـك الكبير يفترس السمك الصغير ويبتلعه فى جـوفه دون رحمة أو شفقة»

ولقـد ولد فضـل ليجد نفسـه سمكـة صغيرة.. وكانـت أسماك الدنيـا الكبيرة لا تـرحمه فتلتهمـه مرة واحـدة.. بل تنهش كـل يوم بعضـا منـه.. وتتركه ينزف.. لتنهش فى اليوم التالى جزءا آخر.

فتح فضل عينيه فى واحدة من قرى النوبـة المحيطة بأسوان والتى ترقد فى حضن جبل قديم ليجد نفسه «يتيم القرية» الأوحد. لم يقل أحد شيئا عن أمه ولا عن أبيه؟

ولم يكن له فى يوم من الأيام دار مثل كل النـاس، تؤويه وتحميه من برد الشتاء وقيظ الصيف. كانت تلك المنطقة فى نهاية القرية جرداء إلا من نخلة قديمة لا تطرح ثمرا .. هذه داره، وكانـت السماء غطاءه الوحيد. يوما تحنو عليه وأياما تمطره حرا أو بردا ينخر عظامه الرقيقة.

وهو صغير لم يكن يدرك عمق مأساته.

كان يقضى معظم النهار يلهو مع أترابـه من أطفال القرية. وعند الظهر عندما كـان كل طفل يسرع إلى بيت أهله لتناول الطعام، كـان ينسحب ذليلا ليطوف دروب القرية باحثا عن لقمـة جافة فى التراب أو ثمرة سقطت عنادا من شجرة. وتعلم كيف يصـارع كلاب القـرية وقططها على هـذا النوع من الطعام. والخدوش فى كل جسده تشهد على معاركه الطويلة فى هذا الصدد.

نهض من جلسته متثاقلا..

وسار بحذاء الشاطىء فى اتجاه قـرص الشمس الذى كان يسقط رويدا فى مياه البحـر. ثم توقف بعد خطـوات والتفت قبل أن يواصل سيره نـاحية «عشة رابحة» وقد خفق قلبه وارتعش داخل صدره.

«هل يعرف الفقراء.. الحب» ؟

هو أكثر الناس إدراكا ان مثل هذه المشـاعر ترف يدعو إلى السخرية إذا شعر بها من لا طعام فى معدته.. وقـد عاش «فضل» سنوات طويلة دون أن



تكون له حاجة سوى أن ينام شبعان ثم يصبح ليجد فطورا إلى جواره.

وحين كبر بات يعتقد أن الطعام يسىء إلى الإنسان إذ كان متوافرا وإلا فلماذا لا يجد الغلظة فى المعاملة إلا من هؤلاء «السمان» من شباب قريته الذين يتكدس اللحم أرطالا فوق عظامهم؟

على أن أكثر ما كان يؤذيه إحساسه بأنه شخص غير مرغوب فيه. وكان يشعر بمهانة عظيمة ويظل الليالى ساهرا يلوم نفسه على حبه للناس. لكنه كان فى النهاية ينهض مثل كلب ذليل ويلحق بأية مجموعة من الشباب الذين يحلو لهم السهر. وحين يكتشفون وجوده كانوا يهللون ويجعلونه مادة لسخريتهم وجلسة سهرهم.

الوحيدة التى عاملته كإنسان.. كانت «رابحة».

ما زال يذكر لقاءه بها بمزيد من العرفان..

كانت القرية قد آوت إلى نومها مبكرة كالعادة.. وقادته قدماه إلى الشاطىء وحين وصل العشة كان آخر الرواد قد غادرها.

وبدأت «رابحة» فى تنظيف «العدة» وغسل الأكواب..

وحين لمحته من مكانها. تسمر وعجز عن التقدم، لكنه قد جن بها بعد دقائق تخطو نحوه وقد حملت بيدها كوب شاى ساخن، قدمته له فى رفق فلم يملك سوى أن يتقبله شاكرا.

وجلست «رابحة» إلى جواره على الرمال فى الظلام. وهو يرتشف الشاى فى صمت. وبعد دقائق أشارت له نحو البحيرة.

وقالت: لماذا لا تعمل مع الرجال هناك؟

فى البداية لم يفهم أو كأنه لم يفهم. ظل ينظر إليها فى ذهول وكأنه يراها للمرة الأولى.

مضت تقول: صدقنى يا فضل.. الكل يعلم أننى أكره هذه البحيرة لأنها أخذت منى أبى، عندما خرج ذات مساء بقاربه للصيد ولم يعد من يومها، لكن البحر رغم كل شىء خير.. وأنت رجل فلماذا لا تخرج للصيد مثل كل الرجال؟





ما زال يذكر كل شيء..

مـا زال يتـذكـر كيف كـان لكلماتها راحة وسكينـة فى نفســه المعـذبـة الحائرة. وكيف عاد ليلتها إلى مأواه وهو يشعـر بإحساس غريب لم يشعر به يوما. ظل ساهرا متوتـرا حتى الصباح لا يقدر على النوم، وعندما أشرف الفجـر كان أول الـذاهبين من أهل القريـة إلى الشـاطىء فى انتظار مـراكب الصيد العائدة بـالرجال. ولا يعرف كيف وجد فى نفســه شجاعة لأن يطلب من بعضهم العمل. ضحك البعض منــه وسخر. لكن أحدهم عـرض عليه أن يحمل صناديق السمك إلى «الحلبــة» مقابل «ثلاث بلطيات» كـانت أول أجر يتقاضاه فى حياته.

وقبل أن يغادر «الحلبــة» باع سمكتين إلى عجوز بـربع جنيه. وأصر على أن يحتفظ بالسمكة الثالثة. حملها فى خجل إلى «رابحة».

وقـدمهـا لها دون أن يستطيع النطق بكلمــة واحـدة. فأخـذتها منــه فى دهشة.

— لكنها قالت مبتسمة: مقبولة !

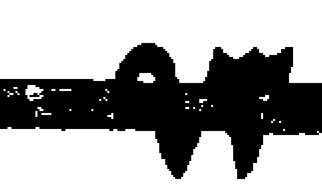
ما هذه الحياة العجيبة؟

ولماذا لا تتسع لأمنيـــات رجل بسيط؟ وهـل ينبغى أن يكــون رغم كل شىء ـ للناس جميعا. الأقوياء منهم والضعفاء؟

ابتسمت له الدنيـا.. لكن ابتسامتها كانت شحيحـة. فى البداية داوم على عمله فى مســاعدة الصيادين عند وصــولهم، ثم بدأ يرافق بعضهم فى قـاربه ليقوم بصنــع الشاى وإعداد الطعـام للصيادين، ورغم انــه تعلم كل أسرار الصيد فإنهم لم يسمحوا له بأن يشاركهم الصيد.

وكان يحدق طـوال الوقت فى الميـاه السوداء ويحلم. ويحلم بأنــه سوف يطرح ذات يـوم شبكته، فتخرج من الأعماق لـؤلؤة ضخمة. يبيعهـا بآلاف الجنيهات يقـدمها مهرا «لـرابحة» وأحيانـا كان يشعر أن «رابحـة» نفسـها سوف تخرج إليه من الأعماق على شكل «عـروس النهر» فتخطفه من وسط الرجال، وتأخذه ليعيش معها فى مملكة الأعماق.

لكن.. ما أكثر أحلام الفقراء..؟!



ظل يطوف «بمعلمى البحيرة» واحدا بعد الآخر. ويطلب منهم أن يسمحوا له بالعمل صيادا على أحد قواربهم.. وكان يلقى الرفض والاستهزاء، أينما ذهب.

حتى كانت اللحظة التى كان يحلم.. بكلمة من «المعلم بسطامى»!

كان «المعلم بسطامى» أحد كبار الصيادين. يمتلك عدة مراكب للصيد يعمل بها عشرات من الصيادين. وحين فوجيء بموافقة المعلم «بسطامى».. على إلحاقه بأحد مراكبه لم يناقشه فى الأجر ولا فى أى شىء. كاد ينحنى على يدى المعلم ليقبلهما ممتنا شاكرا وأسرع إلى «رابحة» يبلغها الخبر السعيد، أخيرا سوف يصبح صيادا. أخيرا سوف يصبح إنسانا!

منذ اللحظة الأولى التى صعد فيها «فضل» إلى مركب الريس «بسطامى» لم يسترح إلى نظرات «الريس ابُراهيم» ريس المركب. الذى كان فى نفس الوقت شقيق المعلم «بسطامى».

نظر إليه «الريس ابراهيم» شذرا. وكأنه غير واثق من قدرته على العمل.. وما أن انطلق المركب فى رحلته اليومية، حتى طلب منه أن يعمل فى نزح المياه التى تتسرب إلى قاع المركب.

ولساعات طويلة ظل «فضل» ينزح المياه فى دلو ثم يقذف بها إلى النهر. حتى كاذ ظهره ينقصم من كثرة الانحناء. لكن أكثر ما كان يحيره أن قاع المركب لم يفرغ أبدا.. فقد كان كلما رفع منه المياه وجدها تتسرب من جديد..

وعندما هبط الظلام وكان قد نال منه الإرهاق. تهالك عند حافة المركب يائسا. وفجأة انتبه إلى ضحكات ساخرة جاءته من الناحية الأخرى من المركب. حيث كان «الريس ابراهيم» جالسا يتبادل أطراف الحديث مع بقية الرفاق «عبدالوهاب» و«حمدان» وهم يشربون الشاى، وكان «الريس ابراهيم» غارقا فى الضحك.

بينما كان حمدان يقول له: الله يجازى شيطانك يا ريس.. انت إذن عملتها فى الولد!

وأغمض «فضل» عينيه متظاهرا بالنوم لكنه استرق السمع جيدا





ليكتشف الحقيقة المؤلمة. وكيف سخر منه «الريس ابراهيم» وجعله يشقى ويتعب دون مبرر طوال النهار عندما انتزع سدادة خشبية من قاع المركب كانت السبب فى تسرب المياه طوال النهار قاصدا من ذلك أن يقتله تعبا فى عملية نزح المياه.

أسودت الدنيا فى عينيه، وكان يظن أيام العذاب قد انتهت، وكان أكثر ما يؤلمه ليس الإهانات والإذلال الذى يلقاه من «الريس ابراهيم» ورفيقه «عبدالوهاب» وإنما لأنه لا يعرف السبب فى اختيارهما له مادة للسخرية وهذه المعاملة القاسية، كان فى أعماقه يشعر انه إنسان وانه يحب كل الناس ويتمنى التقرب إليهم. لكن الآخرين لم يمنحوه قط هذه الفرصة. ظنوا طيبته ضعفا وبساطته استسلاما، وكأن الرجل لا يكون رجلا إلا إذا توحش وعامل الضعفاء بقسوة!

وذهب ذات يوم ليبحث عن العدل عند «المعلم بسطامى». وشكا له من سوء معاملة شقيقه «الريس ابراهيم» الذى أحال حياته على المركب إلى جحيم مستمر.

فأشاح له «المعلم بسطامى» بيده قائلا: « امش يا ولد.. ألا تعرف كيف تكون رجلا؟ »

.. ومشى والأرض تدور وتهتز تحت قدميه النحيلتين.. وقد تفجرت فى صدره كل عذابات حياته. ولم يعد يرى أمامه سوى وجه «الريس ابراهيم» ونظراته الماكرة وسخريته المستمرة منه. وخلفه وجه «عبدالوهاب». وعندما توقف عند الشاطىء وجد الاثنين يصعدان إلى المركب. ومعهما «حمدان».

استقبله «الريس ابراهيم» بسيل من الشتائم المعتادة فلم يهتم أو يبال وأخذ يسحب الحبال التى تربط المركب إلى الشاطىء وهو يضغط على أسنانه بقوة. وعندما صعد إلى المركب، وبينما هو يطوى الحبال ويلقى بها فى أحد الأركان، وقعت عيناه على بندقية ملقاه على الأرض. عرف فيها بندقية «المعلم بسطامى» لكنه لم يعرف أن «المعلم بسطامى» كان قد أوصى شقيقه «الريس ابراهيم» بأخذ البندقية بعد أن عرف ما كان من أمره مع فضل وخشى من حدوث شىء.





لمعت عيناه ببريق غريب..

وهمس لنفسه: إذن.. لقد حانت النهاية!

صار العمل عاديا طوال اليوم.

وعندما هبط الظلام آوى الجميع إلى النوم، مـا عدا « فضل ». وكانوا قد ألقوا بمرساة المركب فى منطقة خور مضيق البحيرة.

كانت لحظة نام فيها الجميع.. إلا الشيطان.

وعنـدمـا تأكـد فضل من نـومهـم نهض من مكـانـه فى صمت ليلتقط البندقيـةوسار فى الظلام إلى الجهة التى يـرقد فيها «الـريس ابراهيم» وإلى جـواره «عبدالـوهاب» كـان الاثنـان مستغرقين تمامـا فى النوم وقـد ارتفع شخيرهما.

ورفع فضل البندقية فى الهواء..

ثم صـوب فوهتهـا نحو جسـد «الـريس ابراهيم» وأغمض عينيـه.. ثم ضغط على الزناد..

دوى صوت طلقة الرصاص عاليـا.. لتستقر فى قلب الرجل النائم. الذى لم يصدر عنه أى صوت سوى أن شخيره انقطع!

وفى اللحظة التالية كان يطلق طلقة أخرى قاتلة على «عبدالوهاب» ليلقى مصرعه فى الحال!

انتفض حمدان من نومـه فزعـا على صوت طلقات الـرصاص.. وأسرع ليستطلع الأمر ليقف مذهولا أمام الجثتين اللتين كانت الدماء النازفة منهما قد غطت سطح المركب.

وعندمـا نظر وجد «فضل» الـذى كان قـد قفز إلى الشاطىء واقفـا وهو يمسك البندقية فى يده والشرر يتطاير من عينيه.

صرخ فيه: ليه كده يا فضل.. قتلتهما ليه؟

وفى نفس اللحظة كان فضل يفرغ البندقية من الرصاص ليعيد تعبئتها من جديد.. فاعتقد حمدان انه يريد أن يقتله هو الآخر! فأسرع بالهرب إلى باطن المركب. وعندما صعد بعد دقائق اكتشف أن فضل اختفى من مكانه عند الشاطىء.





لم يستطع «حمدان» أن يتحمل النظر إلى الجثتين. فأسرع وهو يرتعد ليسحب المرساة ويطلق الشراع.. وعند الفجر كان قد وصل إلى شاطىء القرية. ليعلن لأهلها خبر الجريمة وهروب فضل.

لم تكن رحلة هروب فضل سهلة..

كانت دموعه قد تفجرت وهو يجرى مثل حيوان خائف فى قلب الظلام حاملا البندقية. ومشاعر شتى تتصارع فى صدره.. من ناحية كان يشعر بأنه انتقم للهوان الذى عاشه طوال عمره بلا مبرر ومن ناحية أخرى كان خائفا من أن يعثر عليه أهل «المعلم بسطامى» فيقتلونه ثأرا لمقتل «الريس ابراهيم» هذا غير انه كلما تذكر انه أصبح قاتلا يكاد عقله ينفجر.

ظل يعدو فى جنون..

لم يعرف أى اتجاه ينطلق نحوه. لكنه لم يستطع التوقف، وعندما شعر بأن قدميه لم تعودا قادرتين على تحمله توقف برهة ليلتقط أنفاسه. وكاد ينام من الإرهاق لولا أن هب من الفزع عندما أحاطت به فجأة أصوات الذئاب الشاردة. فأسرع يطلق الرصاص كالمجنون فى كل اتجاه، لتختفى عيون الذئاب التى كانت تبرق فى العتمة من حوله.

وعندما جاء الفجر..

كان قد اكتشف انه وصل إلى خور السيالة ومن بعيد شاهد أحد أكواخ الصيادين، لكنه قبل أن يصل كان قد سقط مغشيا عليه قبل خطوات من باب الكوخ.

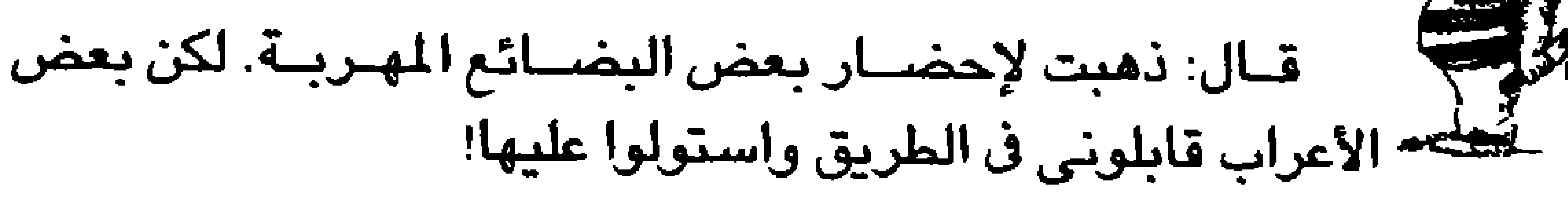
وعندما استيقظ وجد نفسه نائما داخل الكوخ.. وصاحبه الذى كان صيادا يدعى «الخضرى» يعد له مشروبا ساخنا.

سأله «الخضرى» عندما لاحظ انه أفاق: من أنت يا ابن العم.. ومن أين أتيت؟

خشى أن يقول الحقيقة..

فقال له فى ارتباك: لقد جئت من اتجاه صحراء السودان.

سأله الصياد «الخضرى»: ولماذا هذه البندقية التى كانت إلى جوارك وماذا كنت تفعل فى السودان؟



قال: ذهبت لإحضار بعض البضائع المهربة. لكن بعض الأعراب قابلونى فى الطريق واستولوا عليها!

هز الصياد الطيب رأسه.

وقال له: ليعوض الله عليك خيرا.

بعد أيام..

كان ضابط الشرطة المقدم «شوفان» يقود فريقا من رجاله للبحث عن القاتل الهارب.. وتقول أوراق القضية ان رجال الشرطة انتشروا بالقوارب على طول وعرض البحيرة، حتى عثروا على كوخ الصياد «الخضرى» وتمكنوا من القبض على «فضل» الذى كان مختبئا خلف بعض أجولة غزل الصيد.





فى مــارس من كل عــام تـحتفل الأوســاط الفنيــة العالميــة بمــرور مــائة وخمس سنوات على وفاة الفنان فان جوخ.

ومن المؤكـد أن تنشر الصحف والمجـلات المهتمة بـالفن على مستـوى العالم المقالات المختلفــة عن دراما حياة هذا الفنان العبقـرى المجنون الذى كانت حيــاته سيلا من طلقات الـرصاص الفنى. أنهاها برصــاصة حقيقية تخلص فيها بضغطة على الزناد من عذابه وحياته.

وقد تعقـد الندوات.. وقـد يعاد عـرض الأفلام السينمائيــة التى تصور حياة فان جــوخ وآخرها الفيلم الأخير الذى قدمــه الأمريكى فنسانت منيللى فى هوليود.

ولكن أحــدا لن يذكـر فى هذه المنـاسبة «حسن العســال» والذى يـوافق مارس القادم أيضا الذكرى الخامسة لوفاته.

قد يكــون من حق القارىء أن يتســاءل: ومن حسن العسال هــذا حتى يتذكر الناس حياته أو وفاته؟ وما علاقة ذلك بالرسام العالمى فان جوخ؟

لكن الحقيقة ان حسن العسال ينبغى أن يذكـر فى هذه المناسبة، بل وفى كل مناسبة للحديث عن فان جوخ.. أليس هو اللص الذى سرق لوحة أزهار الخشخاش؟ ثم ساهم فى إعادتها مرة أخرى إلى الحكومة المصرية؟

ذات يوم منذ أكثر من عشر سنوات استيقظت القاهرة على خبر مثير، عندما اكتشف المسئولون عن متحف محمد محمود خليل بالزمالك اختفاء لوحة «أزهار الخشخاش» من على جدران المتحف، وأثار خبر سرقة اللوحة الشهيرة ردود فعل متباينة، فمن ناحية انطلق رجال البوليس فى عمليات بحث محمومة من أجل سرعة القبض على اللص المجهول وإعادة اللوحة الثمينة.

ومن ناحية أخرى فقد أحدث الخبر نوعا من الحمى فى أسواق شراء اللوحات الفنية العالمية سواء المشروعة منها أو غير المشروعة.

وباءت كل جهود ومحاولات البوليس المصرى بالفشل.. وتحولت سرقة لوحة فان جوخ إلى علامة استفهام لا نجد من يجيب عليها والطريف ان وزارة الثقافة - وهى الجهة المشرفة على المتحف الذى يواجه نادى الجزيرة الأرستقراطى - حاولت من جانبها استعادة اللوحة المسروقة.. وبلغ الأمر ببعضهم أن يلجأ إلى أحد المشعوذين لكشف غموض الحادث، لكن المشعوذ فشل فى تحديد شخصية اللص المجهول ونجح فقط فى الكشف عن وجود سرقات أخرى تافهة لبعض مقتنيات المتحف من الفضيات.

وبين إحباط وزارة الثقافة وفشل جهود الشرطة المصرية ولهاث الصحافة وراء الحادث الغامض، طرأت على بالى الفكرة المجنونة، التى كانت بداية معرفتى بحسن العسال ولوحة «أزهار الخشخاش» التى كان الجميع يبحثون عنها بلا جدوى.

قلت لنفسى: لماذا لا أسرق لوحة أخرى.. من نفس المتحف؟

كنت قد أمضيت سنوات فى صحيفة «أخبار اليوم» وأنا أكتب قصص الجريمة وأخبار الحوادث، وحين طالبنى رئيس التحرير ابراهيم سعدة بالكتابة عن حادث. سرقة اللوحة. فكرت فى أن أضع خطة لسرقة لوحة أخرى من نفس المتحف، فى محاولة لإلقاء الضوء على الثغرات الأمنية بالمتحف والتى سهلت سرقة لوحة فان جوخ.

وطوال أيام ظللت أرصد وبشكل عادى كزائر من زوار المتحف، المداخل والمخارج ورسمت فى خيالى خريطة تفصيلية لنوافذ المتحف وحددت نوعية



وحجم الحراسة المفروضة عليه، ثم انتهيت إلى الخطة النهائية وحددت لها ساعة الصفر.

وكانت ليلة شتوية باردة لجأ فيها حارسا المتحف إلى كشك خشبى قريب احتماء من الصقيع. وعندما توقفت بسيارتى عن بعد، وترجلت بشكل عادى سائرا حول سور المتحف الحديدى وفى لحظة خاطفة كنت قد قفزت فوق السور واندفعت عبر الحديقة نحو نافذة خلفية من خشب (الأرابيسك) لم تتحمل سوى ضغطة خفيفة وانكسرت.

وهكذا وجدت نفسى داخل المتحف..

ووقفت وسط الظلام أتطلع إلى اللوحات الثمينة وهى فى متناول يدى وحين تطلعت إلى مكان لوحة «أزهار الخشخاش» خيل لى فى الظلام اننى أرى على الحائط وجه فان جوخ نفسه، وجذوة النار التى تشع من عينيه الغريبتين، ثم كأننى أقرأ سطورا من إحدى رسائله إلى أخيه ثيو والتى يقول فيها: «صدقنى.. عندما يود المرء أن يكون فعالا فعليه ألا يخشى ارتكاب بعض الأخطاء».

وقد كانت سرقة لوحة فان جوخ خطأ.

فهل هو خطأ اللص؟

أو خطأ المسئولين عن المتحف؟

والأهم: هل كانت السرقة خطأ لابد منه؟

أفقت من محاولتى «للتفلسف» فى مكان ووقت غير مناسبين، وكان لابد من أن أغادر المتحف بعد أن حققت هدفى بتصوير سهولة اقتحامه أو التسلل إليه، وأن فى الإمكان سرقة لوحة أخرى غير «أزهار الخشخاش» والتى قفز سعرها بعد الاعلان عن خبر سرقتها فى الأسواق العالمية إلى ٤ ملايين دولار ـ وقتها ـ وبسرعة عدت من نفس المكان الذى جئت عبره، دون أن ينتبه حراس المتحف لدخولى أو خروجى.

وبعد أن نشرت القصة..

وفيما بعد.. قال حسن العسال لص اللوحة، انه فوجىء بأننى فى التحقيق الصحفى وضعت نفس الخطة التى سرق بها اللوحة.

ربما لا يكون من المبالغة أن أزعم ـ مع الفارق بالطبع ـ أننى وجدت تشابها بين فان جوخ.. وحسن العسال.. فقد فكرت فى أن كلا منهما كان عبارة عن «شيطان وملاك فى جسد واحد» هكذا كان من المفترض أن يكون الهولندى فان جوخ مبشرا دينيا، بل عمل كذلك فى بوريناج قبل أن يمسك الريشة لأول مرة ويكتشف الفنان المجنون فى أصابعه ويطرد من حظيرة المبشرين إلى دنيا صعاليك الفنانين.

ومثله أيضا كانت حياته سلسلة من الإخفاق العاطفى كان حسن العسال وهو شاب مصرى رشيق القوام ولد فى أسرة ثرية يعمل عائلها فى الهيئة القضائية، وكان يفترض أن يكون العسال قاضيا أو محاميا، لكن الطفل الذى كان يقفز من بيت أهله إلى حديقة بيت الدكتور طه حسين المجاورة، لم يكن يتخيل انه سيصبح واحدا من أشهر اللصوص فى مصر.

فبعد أن فشل فى دراسته ـــ وكانت له ميول فنية فى الرسم ـ خرج مطرودا.. للأبد من بيت العائلة إلى الشارع، حيث جرفه تيار الضياع والجريمة، إلى قاع المدينة الذى يختلط فيه البسطاء باللصوص.

لكن أغرب ما اشتهر به «حسن العسال» اللص انه كان خلال مغامراته الليلية فى عالم الجريمة يرتدى حذاء الباليه الذى يساعده على القفز برشاقة الفهد عبر أسطح البيوت دون أن يشعر به أحد.

تلك لم تكن ميزة اللص الوحيدة..

فقد قال لى ذات يوم: إننى أبدا لم أسرق فقيرا..

كان العسال اللص منحازا دون مناقشة إلى عالم الفقراء أما فان جوخ الذى عاشر البؤس معظم سنى حياته، فقد أصر على تجسيد عالم البسطاء وهم يمارسون أعمال حياتهم اليومية الشاقة.

كان فان جوخ يجسد بخطوطه وألوانه الصارخة ثورته ضد ظلم الحياة لبنى البشر، وكان حسن العسال يعبر بمفتاحه المصطنع الذى يتسلل به إلى البيوت ويفرغ الخزائن عن ثورة ربما تكون مماثلة إلى حد بعيد.. الفارق الوحيد ان الأول كان فنانا موهوبا وان الثانى كان شخصا عاديا مثل ملايين البشر.



ومع ذلك .. فقد سرق العسال لوحة فان جوخ

حين ينحرف إنسان إلى الجريمة فإنه يمشى فوق الأشواك، وحين يفكر مجرم فى التوبة فإنه يعيش والأشواك داخل جسده، لأن المجتمع فيما يبدو يتلذذ بتعذيب الناس بماضيهم وهكذا يظل ماضى المجرم شبحا يؤرق حاضر أيامه.

وهذا ما حدث بالضبط مع اللص حسن العسال بعد أن عاش الجريمة سنوات مثيرة وألقت المصادفة أمامه بفتاة جميلة أحبها وتزوجها وأنجب منها، وجعله وجه ابنته الجميلة يفكر فى التوبة والاقلاع عن السرقة تماما.

وعادة حين يتوب اللص يتولى أحد الضباط متابعة حالته للتأكد من انه لن يعود مرة أخرى إلى دنيا الإجرام، وذلك من خلال لقاءات دورية شهرية بين اللص التائب والضابط.

وحين ذهب حسن العسال إلى مكتب الضابط المسئول محمد عبدالنبى ليؤكد له توبته، طلب الضابط من أحد جنوده شراء قطعة شيكولاتة لابنة حسن العسال الصغيرة التى كانت تمسك بيده وهو يقف أمام الضابط.

وظل العسال يحدق فى وجه الضابط عبدالنبى بذهول، وكأنه لا يصدق أن يقدم ضابط على لفتة إنسانية مثل هذه، فقد تعود العسال من قبل على قسوة رجال الأمن من خلال مطارداتهم السابقة له.

وفجأة قال للضابط: شكرا على الشيكولاتة لطفلتى.. هل تسمح لى سيدى أن أقدم لك قطعة حلوى على طريقتى؟

سأله الضابط متعجبا: ما هى؟

قال حسن العسال: لوحة «أزهار الخشخاش» لفان جوخ.. التى يبحث عنها البوليس منذ عام بلا جدوى.

ذلك ما حدث تماما..

اعترف العسال بمنتهى البساطة للضابط محمد عبدالنبى انه سرق اللوحة الشهيرة بتكليف من مرشد سياحى وان المرشد السياحى قام بتهريب اللوحة داخل حقيبة ملابس أخيه الذى كان يعمل مدرسا فى الكويت ويقضى اجازة الصيف فى القاهرة، ثم عاد إلى الكويت دون أن يعلم

ان باطن حقيبة ملابسه تختفى فيه لوحة «أزهار الخشخاش».

وعرض حسن العسال على الشرطة أن يساهم فى إعادة اللوحة مقابل أن تساعده الشرطة فى إقامة كشك بسيط لبيع المرطبات والحلوى يقتات منه رزق أولاده الصغار.

ونجحت الشرطة بمساعدة حسن العسال فى إعادة اللوحة إلى مصر مرة أخرى، لكن العسال خرج من مولد الفرحة بعودة اللوحة صفر اليدين، فقد تم توزيع المكافآت على كبار الضباط وصغارهم.

ولم يفكر أحد فى مسألة كشك المرطبات الذى سوف يحمى أسرة اللص التائب من الضياع.

وذات يوم وجدته يقف أمامى فى مكتبى.

قال ببساطة: أنا حسن العسال.

وقبل أن أرحب به.

قال لى: سوف أسرق اللوحة مرة أخرى.

غادرنا الجريدة معا إلى أحد مقاهى القاهرة المزدحمة وجلس حسن العسال يروى لى مأساته من البداية، قال لى ان أحدا لا يريد أن يكون لصا، لكنها الحياة التى تقسم الناس إلى فريقين دائما الشرفاء واللصوص الشجعان والجبناء والأغنياء والفقراء وقال لى ان الحياة لا تعطى الإنسان دائما ما يريد هو مثلا كان يتمنى أن يرسم لوحة فى عظمة «أزهار الخشخاش» لكن قدره دفعه لأن يسرقها.

وروى لى العسال مغامراته فى عالم الجريمة وكيف ان اللصوص كانوا ينظرون إليه على انه «أرسين لوبين» اللص الظريف الذى يسرق الأغنياء فقط، وقال والأسى يكسو ملامح وجهه انه دفع ثمن توبته غاليا فلا عمل شريف يعيش وأسرته منه ولا الشرطة تثق تماما فى مجرم تائب ومن ناحية أخرى فإن أصدقاء الماضى يطاردونه باستمرار لكى يعود إليهم.

قال لى حسن العسال: لم أعد قادرا على شراء الحليب لطفلتى الصغيرة.. بعد أن بعت معظم أثاث بيتى من أجل إطعام أسرتى.. وهكذا لا مفر من أن أسرق اللوحة مرة أخرى.. لكن لحسابى..



وعندما قلت له ان سرقة اللوحة من جديد لن تكون حلا نهائيا لمشكلته.

قال لى بمرارة: أعلم.. لكنى ماذا أفعل.. ان سرقة اللوحة مرة أخرى ستجعلنى مطاردا من الجميع ولن تكون هناك رحمة، لقد فكرت فى مجرد سرقتها وليس محاولة بيعها، اسمع حين أراد فان جوخ أن يتزوج ابنة أحد جيرانه دخل بين أهلها ليطلبها من والدها. لكن الفتاة هربت بسبب دمامة وجهه التى لا حيلة له فيها فما كان منه إلا أن وضع يده فوق نار شمعة حتى احترقت، وقال لوالد الفتاة انه لن يرفع يده من فوق النار حتى تحضر ابنته وهذا ما حدث عندما وصلت رائحة لحم يده المشوى إلى أنف الفتاة فعادت مسرعة. سوف أسرق اللوحة حتى يعرف الجميع اننى أريد أن أعيش حياة شريفة ولا أستطيع.

قلت له: بسرقة اللوحة لن تضع يدك فوق لهب شمعة.. بل سوف تلقى بنفسك وأسرتك إلى آتون الجحيم.. تعال معى.

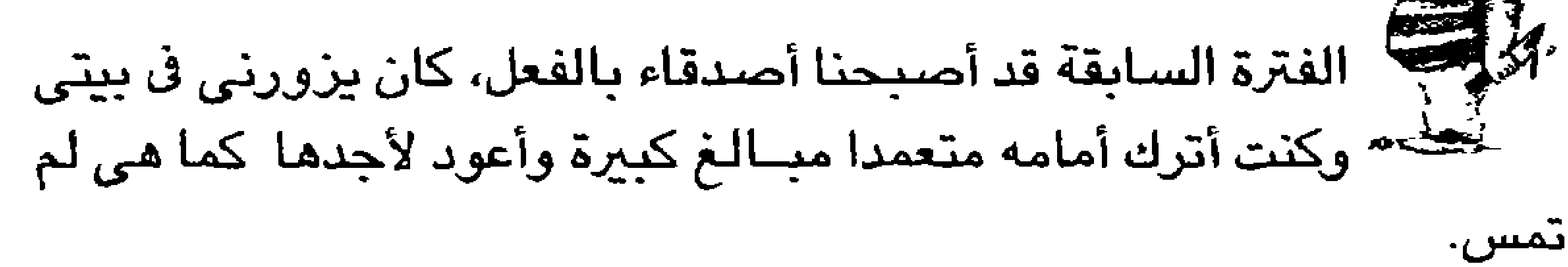
كنت خلال عملى محررا للجريمة قد خرجت بحصيلة كبيرة من الأصدقاء فى عالم الجريمة، وتعلمت ان هؤلاء الذين يحتقرهم المجتمع وينبذهم لأنهم انحرفوا ليسوا سوى بشر لهم عواطفهم ومشاعرهم وان الكثيرين منهم لم يختاروا درب الجريمة بل دفعتهم إليه ظروفهم البائسة دفعا.

وقررت أن أساعد حسن العسال فى إقامة كشك المرطبات ومن ناحية أخرى ودون أن يعلم أوصيت عددا من أصدقائى اللصوص بمراقبته من بعيد للتأكد من أنه فعلا بدأ صفحة الحياة الشريفة.

لكن صدمتى كانت عظيمة بعد فترة عندما علمت أنه تم القبض عليه بتهمة الاتجار بالمخدرات وبعد أيام تلقيت من حسن العسال رسالة بعث لى بها من السجن يقول لى فيها إن التهمة لفقت له حين رفض أن يعمل مرشدا سريا لأحد الضباط.. وفى نهاية رسالته أقسم لى العسال أنه برىء.. وقال أنه لا يهمه حكم القضاء لأنه يرانى قاضيه الحقيقى.

وبقيت أياما فى حيرة..

اعترف أننى قد أحببت الانسان المعذب داخل اللص التائب، كنا خلال



الفترة السابقة قد أصبحنا أصدقاء بالفعل، كان يزورنى فى بيتى وكنت أترك أمامه متعمدا مبــالغ كبيرة وأعود لأجدها كما هى لم تمس.

وخرج العسال من السجن بريئا من التهمة.

وكنــا نلتقى بين الحين والآخر، وكـانت الحيــاة تعـانده فى قســوة وظل اللصوص من رفاق الماضى يطاردونــه ويضغطون عليه ليعود اليهم.. لكنه كان يرفض.

وذات يـوم ذهبنا معــا الى متحف محمد محمـود خليل لنشاهـد لوحــة « أزهار الخشخاش » وقد عادت الى مكانها.

وقال لى العســال ونحن نغادر المتحف. شىء واحد اشترك فيـه مع فان جوخ.

سألته: ما هو؟

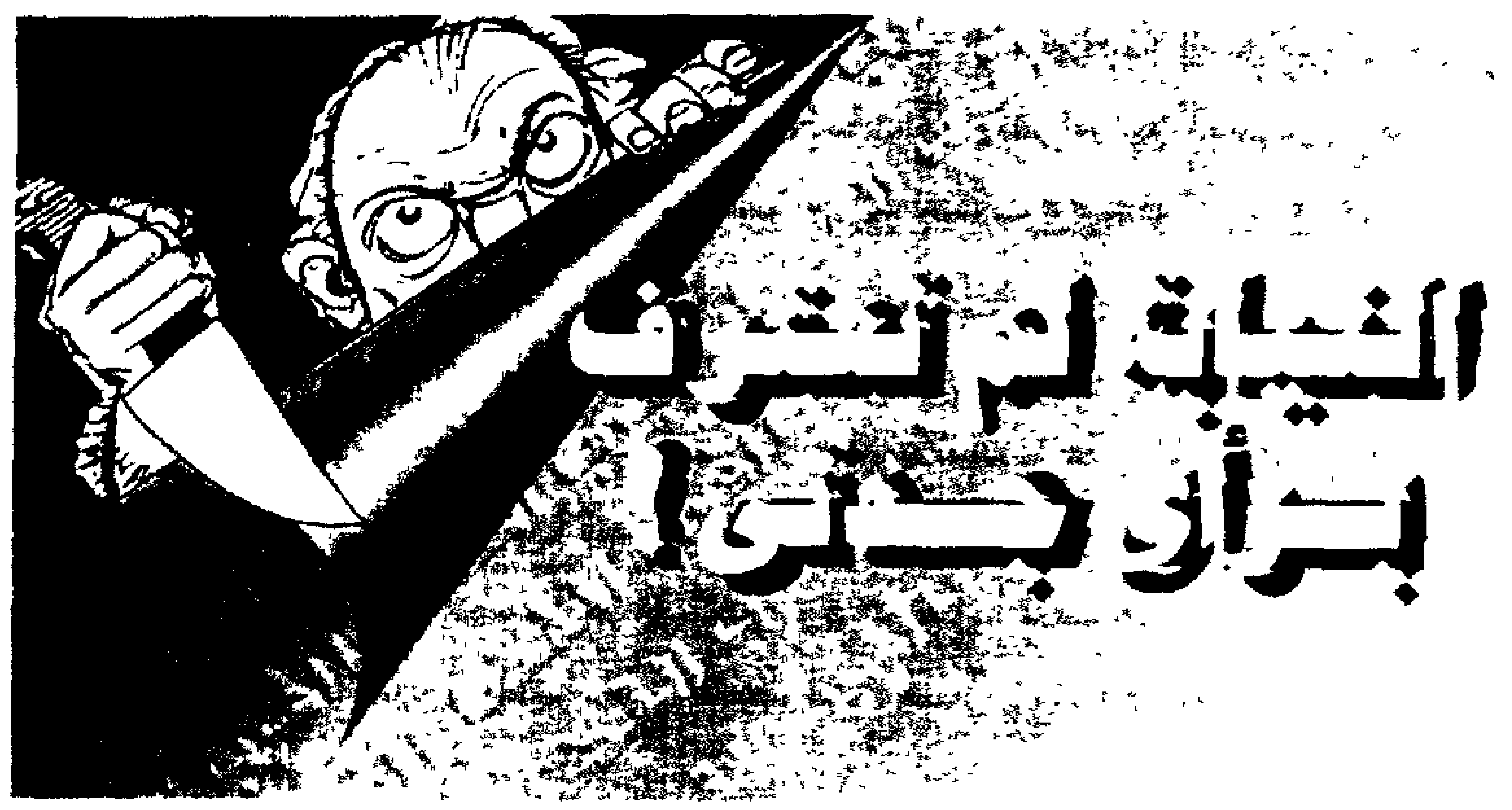
قال: الاحساس بالفشل.. ذت يوم كتب جوخ يقول لأخيه « أننى انسان عاطفى مـؤهل للقيام بأعمال غير معقولـة، وقد يكون مكتـوبا علىَّ ان أكف عنها ذات يـوم اننى فاشل، لكن يجب ان أحاول بكل وسيلـة الحصول على شىء جيد من هذا الاحساس نفسه».

رحم الله حسن العسال..

فبينما كـان عائدا فى المســاء الى أسرته، تلقى فى الظـلام طعنة خنجـر فى ظهره لقى مصرعه على أثرها.

ومات قبل أن يحقق شيئا طيبا من احساس الفشل.





كـانت جدتى دائما تسخـر من خـوفنا كأطفـال من الظـلام الذى كنـا نخشى أن يظهـر لنا فيـه عفريت مخيف وتقـول : ماعفـريت إلا بنى آدم.. ولاأعرف لماذا تـذكرت جدتى وأنـا أحاول تغطية حـادث غريب وقع فى حى الزمـالك الارستقراطى وراح ضحيتـه احد رجال الـدين الذى مـات مقتولا وكان المتهم بقتله .. « عفريت ».

● ● ●

بدأت القصـة فى ساعة مبكرة من صبـاح أحد أيام صيف القاهرة الحارة عنـدما دلفت سيـارة اسعاف بسرعـة إلى مستشفى بـولاق الدكـرور وهى تحمل مصابا تجاوز الخمسين من عمره كانـت الدماء تنزف بغزارة من كل مكان فى جسده.

وأسرع الأطباء يحاولون فى دهشة إنقاذ الرجل الـذى كانت حالته سيئة للغايـة وكان من الـواضح انه يحتضر وحاولـوا قدر امكـانهم وقف نزيف الدماء من جروحه المتعددة.

وفى العادة فإن المستشفيات عندما تستقبل مصابين فى مثل هذه الحالة فإنها تقوم بإبلاغ الشرطة التى تتولى فى الحال تحقيق أسباب الحادث وتبدأ البحث عن المتهم فيه لالقاء القبض عليه حتى تأخذ العدالة مجراها.

وهكذا بعد أن بذل الأطباء جهدهم فى محاولة إسعاف الرجل المصاب نقلوه من غرفة العمليات إلى الفراش واتصلوا بقسم شرطة قصر النيل الذى أوفد ضابطا لسؤال المصاب ومحاولة التعرف على المتهم باصابته.

ومن حظى أن هذا الضابط كان صديقا لى، وقبل أن يتحرك من قسم الشرطة اتصل بى واتفقنا على أن نلتقى فى المستشفى حتى أشاهد بنفسى عملية استجواب المصاب وأبدأ تحقيق القصة من بدايتها.

وعندما دخلت مع الضابط إلى حجرة الرجل المصاب وجدنا بعض الأطباء على باب الحجرة يتبادلون النظرات وقال احدهم للضابط : هذا الرجل سوف يموت فى أية لحظة..

فأسرع الضابط ، وأنا من خلفه إلى داخل الغرفة حيث كان الرجل يروح فى غيبوبة قصيرة ثم يفيق لدقائق يتأوة بشدة خلالها ويعود مرة أخرى إلى غيبوبته وهكذا.

سأله الضابط : ماأسمك.

قال الرجل بصوت هامس : سيد.

سأله الضابط : وما صناعتك ..؟

رد الرجل : شيخ .. أنا إمام مسجد .. عاد الضابط ليسأله : طيب ياشيخ سيد من الذى أحدث بك هذه الاصابات ..؟

فجأة انتفض جسد الشيخ سيد وكأن ثعبانا قد عقره.. وهاج فى هيستريا يامغيث.. يالطيف. وأخذ يردد هذه الكلمات وعيناه تكاد تخرجان من محجريهما من شدة الانفعال ثم عاد ليصرخ فى ألم غريب : قتلتنى ياملعون.. قتلتنى.. سأله الضابط بدهشة : من هذا الذى قتلك..؟ سكن جسد الشيخ سيد فجأة كما انتفض من قبل ثم زفر بصوت ضعيف: شمهورش..

واغمض عينيه إلى الأبد ..

●●●

هل هذا معقول ... ؟



هل يمكن لـــ«شمهورش» أن يكون قــاتــلا ... ؟ ومن هو «شمهــورش» إنسان أم جنى ... ؟

لم يكن أمــام الضابط المسكين ســوى أن يحرر محضرا بأقوال الــرجل الذى تــوفى متأثرا بإصابــاته، ولغرابة القصـــة فإن رجال المباحث قــد بدأوا تحريــاتهم فى الحال لكشف غمــوض الحادث، كــان ضـــابط مبــاحث قسم شرطة قصر النيل فى ذلك الــوقت شابا متحمســا متوقد الذكــاء واستطاع فى فترة سنــوات قليلــة أن يبرهن على كفــاءتــه بكشف الغمــوض عن كثير من الحوادث الهامة وقد أصبح فيما بعد من كبار قيادات الشرطة فى مصر.

المهم أن الضابط الشاب لم يهدأ إلا بعد أن استطــاع خلال ساعات قليلة أن يلقى بعض الضوء على ملابسات الحادث الغريب.

وكشفت التحــريات أن الشيخ سيــد كان يعمل إمــام مسجد فى منطقــة إمبابة وحدث أن قام رجل أعمال مليونير ببناء عمارة جديدة فى احد شوارع الزمالك وبنى أسفل العمارة مسجــدا صغيرا وبحث عن إمام يؤم الصلاة فى المسجد فقــاده الناس إلى الشيخ سيد وكان الشيخ سيــد يحضر فى الصباح من بيته بإمبابــة إلى مسجد العمارة فى الزمالك ويظل بــه حتى انتهاء صلاة العشــاء، فيغلقــه ثم يعود إلى بيتــه سيرا على الأقــدام فــلا شىء يفصل بين الزمالك وإمبــابة سوى نهر النيل وبعد أيام من عمله فى المسجــد بدأ سكان الزمالك يكتشفون «كرامات» أخرى للشيخ سيد.

●●●

عثــر رجــال المبــاحث فى بيت الشيخ سيــد على مئــات من كتب السحــر والشعوذة وكشفت تحرياتهم انه بعد عمله فى مسجد العمارة بالزمالك كان يــؤدى بعض الخدمــات فى مجال السحــر وتحضير الأرواح لبعض سكــان الزمالك وقد ذاع صيته فى فترة بسيطة فأصبح مقصدا لكل من يعتقدون فى السحر حلا لمشكلاتهم المستعصية.

وأصبح للشيخ سيد مــريدون ومعجبون ومن بين هؤلاء كــان المليونير صاحــب العمارة الذى كان قــد خصص شقة فيهــا لابنه الطــالب الجامعى



الذى كان يدرس فى الاسكندرية طوال الأسبوع ويعود لقضاء عطلة نهاية الأسبوع فى القاهرة.

وعرض الرجل على الشيخ سيد أن يبيت فى هذه الشقة إذا تأخر وشعر بأنه لايريد العودة فى المساء إلى بيته بإمبابة.

واكتشف رجال المباحث أن الشخص الذى أبلغ سيارة الاسعاف التى حضرت لنقل الشيخ سيد إلى المستشفى هو الطالب الجامعى ابن المليونير.

وعندما سألوه : وكيف عرفت انه أصيب ... ؟

قال ببساطة لقد كنا معا فى الشقة فى تلك الليلة ..

●●●

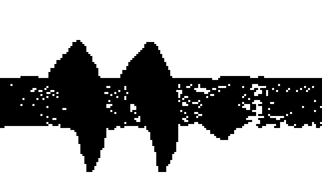
وأمام ضابط المباحث جلس الطالب الجامعى يروى الحكاية الأغرب من الخيال فقال كنت ليلة عادية للغاية وتناولت طعام العشاء مع الشيخ سيد ثم أويت للنوم فى حجرتى حيث إننى كنت متعبا من السفر وقبل الفجر بقليل استيقظت من نومى على أصوات ضجة اكتشفت انها صادرة من المطبخ فذهبت لاستطلع الأمر وهناك شاهدت أعجب مارأيته فى حياتى.

سأله الضابط بلهفة : ماذا شاهدت ؟

قال الطالب الجامعى : وجدت كل أدوات المطبخ تطير من مكانها فى الهواء وتضرب الشيخ سيد الذى كان واقفا يتلوى فى وسط المطبخ من شدة ضربات الآوانى والملاعق والشوك وحتى المكنسة كلها كانت تطيح فى الهواء ثم تضرب الشيخ سيد فى كل أنحاء جسده والدماء تنزف منه وهو يصرخ «شمهورش ياملعون» ثم صرخ صرخة عظيمة وهوى إلى الأرض .. وسكن كل شىء فى المطبخ ولم تعد الأدوات تتحرك وكأنها نفذت الانتقام المطلوب.

●●●

كانت رواية بالفعل أغرب من الخيال.. لكن ضابط المباحث كان مضطرا لتسجيلها فى أوراق القضية الرسمية التى أحالها فى النهاية إلى النيابة بعد أن عجز عن العثور على دليل جنائى باتهام أى انسان بقتل الشيخ سيد خاصة أن الأخير قد اعترف بنفسه فى المستشفى قبل أن يلفظ أنفاسه





الأخيرة ـ وقد حدث ذلك أمامى ـ بأن شمهورش هو قاتله.

وأتذكـر الآن كيف كانت حيرة صـديقى وكيل النيابـة إبراهيم عبـدربه والـذى أصبح الآن من كبـار رجـال القضـاء، عنـدما وجـد نفسـه مكلفـا بالتحقيق فى جناية قتل المتهم فيها عفريت مجهول اسمه شمهورش.

لكن وكيل النيابة فى النهاية لم يجد سـوى العبارة التقليدية التى تقول تقيد القضية ضد مجهول.

●●●

هل العفريت هو القاتل فعلا ... ؟

وبالتـأكد كـان رأى جدتى مخالفـا لرأى المبـاحث والنيابـة ولوكـانوا يؤمنون بآراء جدتى ربما كان للقضية الغريبة مسار آخر.





قسم الشرطة هو الهدف الرئيسى لأى محرر حوادث فى العالم؛ ففيه تصب فى النهاية كل مشاكل الناس بعضها مشاكل وحوادث عادية وبعضها يصلح لأن يكون قصة صحفية مثيرة أو خبرا على الصفحة الأولى من الجريدة.

وخلال أسابيع قليلة من عملى محررا للحوادث كنت قد تعرفت على عدد كبير من الضباط سرعان ماأصبحت الصداقة طابع علاقتى بهم وقد أفادنى ذلك كثيرا فى عملى إذ كانوا يحتفظون لى بأهم الحوادث وأخطرها وكانوا يطلعوننى على الرغم من اللوائح والتعليمات على دفاتر الحوادث المهمة وتقاريرها.

لكن أطرف القصص الصحفية التى حصلت عليها من أقسام الشرطة، لم تكن مدونة فى دفتر أو تقرير رسمى مثل قصة الشاب العربى الذى فقد ذاكرته.. فى قاع نهر النيل.

● ● ●

كان قسم شرطة قصر النيل من الأماكن التى كنت أفضل البقاء فيها طويلا فقد توطدت صداقتى بمعظم ضباط القسم الذى كان يغطى منطقة حساسة تشمل أحياء جاردن سيتى، والزمالك التى يسكنها عادة علية



القوم من المسئولين والفنانين وهكذا فإنني نادرا ماكنت أغادر قسم شرطة قصر النيل دون أن أحظى بخبر مثير عن فنان مشهور أو مسئول كبير.

لكن تلك القصة لم يكن صاحبها مشهورا.. والغريب انه أصبح مشهورا وعرفه كل الناس بعد ذلك.

●●●

أثناء تجوالى بين مكاتب قسم الشرطة لاحظت شابا فى العشرينات يجلس فى هدوء إلى جوار احد الضباط ويتابع بطريقة آلية الضابط وهو يؤدى عمله، أثار وجود هذا الشاب الصامت انتباهى فقد كان من الواضح انه ليس متهما فى قضية ما وإلا لماذا سمح لى الضابط بأن يجلس إلى جواره هكذا فى مكتبه ؟ لكن ماشدنى إليه أكثر هو تلك النظرة الحائرة العميقة التى كانت تطل من عينيه الواسعتين.

لم أستطع التغلب على فضول الصحفى طويلا، فسألت صديقى الضابط عن هذا الشاب وسبب وجوده فى قسم الشرطة.

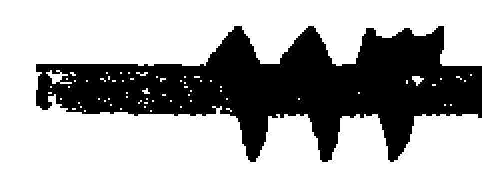
رد الضابط مبتسما : لاتسألنى عن اسمه لأنى لاأعرفه.. بل هو نفسه لايعرف اسمه.

●●●

سألته بدهشة وكيف ذلك ؟

قال الضابط محمود الفيشاوى والذى أصبح الآن ضمن الفريق الذى يعمل فى مكتب وزير الداخلية اللواء حسن الألفى.. لقد سقطت منه ذاكرته .. فى قاع النيل وروى لى الضابط محمود الفيشاوى قصة الشاب الصامت قال إن الشرطة النهرية تلقت بلاغا عن محاولة انتحار شاب ألقى بنفسه إلى النيل فأسرعوا إلى هناك وتمكنوا من إنقاذه قبل أن يغرق.

وفى مستشفى العجوزة حيث نقلوه قام الأطباء بإسعافه وعندما حضر رجال الشرطة لتحرير محضر بالواقعة فوجئوا بأن الشاب لايعرف اسمه ولامن يكون ولاعنوان أسرته ولم يجدوا فى ملابسه شيئا يكشف شخصيته



وفى مثل هذه الحالات فإن النيابة تأمر عادة بإيداع الشخص فى مستشفى الأمراض العقلية لكن تلك النظرة الحزينة فى عينيه هزت قلب الضابط محمود الفيشاوى، فطلب من وكيل النيابة أن يسمح للشاب المنتحر بأن يعيش فى قسم الشرطة حتى يتمكنوا من العثور على أهله أو تعود إليه الذاكرة.

وتعاطف ضباط قسم شرطة قصر النيل مع الشاب فاقد الذاكرة، فسمح له احدهم أن ينام فى مكتبه، وأحضر له ضابط ثان بعض الملابس النظيفة وكان الضباط يتسارعون فى احضار الطعام له، وطوال النهار كان يجلس صامتا فى مكتب هذا الضابط أو ذاك.

أصبح قسم الشرطة .. بيته.

●●●

ولعله كان أصعب حديث صحفى أجريته فى حياتى عندما جلست إلى الشاب فاقد الذاكرة إذ كيف يمكن للمرء أن يدير حوارا مع شخص بلا ماض ولاحاضر ولاشىء سوى مستقبل مجهول.. عن ماذا إذن أسأله؟

قلت له : حقا لاتعرف من أنت ؟ رد بهدوء : لاأعرف.. وإن كان الضباط قد اطلقوا على اسم «أحمد».

سألته : ألا تتذكر شيئا ولوبسيطا عن حياتك الماضية.. اسم شخص.. عنوان بيت.. أى شىء؟

قال فى اسى : لقد حاولت وفشلت فى عقلى مساحة بيضاء كبيرة.. لاأتذكر سوى تلك اللحظات التى كنت أصارع فيها الأمواج حتى انتشلنى رجال الشرطة النهرية.

قلت له : تعنى انك حتى لاتعرف لماذا حاولت الانتحار؟

قال بنفس النبرة الحزينة لاأعرف.

●●●

اسرعت عائدا إلى الجريدة ومعى صورة «أحمد» فاقد الذاكرة وبضع كلمات من حوارى معى لاتغنى ولاتسمن فضول الصحفى أو القارىء.

ورغم حماسة رئيس التحـرير فإننى جلست حائرا لا أعـرف ماذا أكتب كيف أكتب عن شخص لايعرف من يكون؟

لكن القلم فى النهـاية جـرى على الأوراق مسجـلا حيرتى وأسئلتى التى بلااجابة.

من يكون أحمد؟

هل هو متزوج؟

ترى ماشعور زوجته أو أطفاله .. إن كان له أطفال؟

وهل هو سعيد بأنه فقد ماضيه بكل مافيه من أحداث سعيدة ومؤلمة؟

وهل النسيان نعمة أم نقمة؟

كتبت قصة الشاب «أحمد» فـاقد الذاكرة وسلمتها لـرئيس التحرير وفى صبـاح اليوم التـالى كـانت القصة والصـورة تحتـلان مكان الصـدارة فى الصفحة الأولى.

وأصبح السؤال الذى يردده ملايين القراء.

أحمد من يكون؟

●●●

فى ذلك اليـوم قـامت الـدنيا ولم تقعـد آلاف المكـالمات الهاتفيـة من كل مكان.. قراء يعربون عن تعاطفهم مع الشاب فاقد الذاكرة . امرأة تزعم انه زوجها الهارب أم تقول انه ولدها الـذى غادر البيت ولم يعد، فتاة تقول انه حبيبها الذى صدته فحاول الانتحار.

لكن أحمد لم يكن أى واحـد من هـؤلاء ولم تتـوقف المكـالمات حتى من خارج مصر.

قراء عرضوا أن يقوموا باستضافته وآخرون طلبوا تبنيه والانفاق عليه.

وفـوجئت بـالفنـان سمير صبرى الـذى كـان وقتهـا يقـدم بـرنـامجا تليفـزيـونيـا شهيرا يتصـل بى ويطلب أن أذهب إليـه فى نفـس اليـوم إلى التليفزيون ومعى الشاب فاقد الذاكرة.



وعندما ذهبت مع أحمد فوجئت بأن سمير صبرى قد أعد بسرعة سهرة تليفزيونية عن الشاب فاقد الذاكرة والذى أصبح حديث الناس فى كل مكان.

وقد دعا إلى هذه السهرة الفنان الكبير عادل إمام والفنانة هدى سلطان والكاتب الصحفى محمود عوض والطبيب الشهير خيرى السمرة أستاذ جراحة المخ والأعصاب وعلى شاشة التليفزيون دار حوار طويل ومثير بين أحمد وكل هؤلاء وضحك أحمد على مداعبات عادل إمام معه.

وغنت له هدى سلطان أغنيتها الشهيرة «إن كنت ناسى أفكرك» وفى النهاية تطوع الدكتور خيرى بأن يعالجه .. ويحاول إعادة الذاكرة المفقودة إليه وقد كان.

●●●

انتقل أحمد من قسم الشرطة إلى المستشفى .. وبدأ الدكتور خيرى السمرة فى علاجه وتحسنت حالته بالفعل .. ولكن المفاجأة التى لم يكن أحد يتوقعها حدثت فقد ظهرت أسرة أحمد وكان فى ظهورها أكثر من مفاجأة أخرى.

تبين أن أحمد .. سعودى الجنسية وان هذا بالطبع ليس اسمه الحقيقى وانه رجل أعمال شاب لم يغادر وطنه من قبل وكانت هذه أول زيارة له إلى مصر.

لكن المشهد الأكثر إثارة كان مشهد عودة الذاكرة عندما حضرت أسرته على أول طائرة وعندما دخلوا حجرته با لمستشفى عادت إلى أحمد ذاكرته بمجرد رؤيته لوالدته واندفع إلى أحضانها يبكى فى تأثر.. وتذكر أحمد كل شىء عن حياته الماضية ماعدا لماذا حضر إلى القاهرة ولماذا حاول الانتحار دون سبب مفهوم.. وكيف كان يتحدث اللهجة المصرية ببساطة؟

●●●

على سلم الطائرة التى نقلته وأسرته إلى وطنه وقف أحمد يشكر كل



الذين سـاعدوه بداية من الضـابط محمود الفيشاوى وحتى الفنانـة هدى سلطان التى طلب إليها أن تنقل تحياته إلى فنانه المفضل عادل إمام.

وأخيرا التفت ناحيتى وقال : أمـا أنت .. فلا أعرف حقيقة هل أنـا شاكر لك أم غـاضب منك أيها الصحفى الفضـولى .. أما كـان الأفضل أن تتركنى فاقد الذاكرة ؟

لم أرد ....

لأننى حتى الآن لا أعرف الاجابة ....



اتصل بى موظف استعلامات الجريدة فى مكتبى وقال لى · لقد حضر شخص وترك لك رسالة مفتوحة

وقلت له : إذن اقرأها علىّ .. فتح الموظف الرسالة وأخذ فى قراءتها قائلا على لسان كاتبها · سيدى أنا احد قرائك منذ سنوات .. إنسان بسيط متواضع كنت أعيش فى إحدى مدن صعيد مصر راضيا بما قسمه الله لى على الرغم من أن راتبى كان يكفى بالكاد لإطعام أسرتى المكونة من عدد كبير من الأطفال وكنت كلما ضاقت بى الدنيا ألجأ إلى الاستدانة .. ويوما بعد يوم تجمعت الديون وصارت حلقة ضيقة خنقت رقبتى.

لم أستطع السداد وحاصرنى أصحاب الديون من كل جهة. ولم يعد أمامى حل أو مهرب .. فوجدت نفسى أركب أول قطار إلى القاهرة وقد استقر عزمى على الانتحار حتى اتخلص من هذه الحياة البائسة ولقد جئت إليك أولا وسأترك لك عنوان أسرتى. وبعد ذلك سوف أقذف بنفسى إلى أعماق النيل من فوق كوبرى أكتوبر.. فأرجو أن تبلغ أسرتى البائسة اننى احببتهم من كل قلبى .. لكنى فشلت فى أن أتحمل مسئوليتهم فليسامحونى وليسامحنى الله .. التوقيع «فلان».

صرخت فى موظف الاستعلامات : ماذا كان يرتدى صاحب هذه الرسالة؟



قـال بارتبـاك : بنطلون أســود وقميص أبيض، اغلقت سماعـة الهاتف وقفزت مغادرا مكتبى فى محاولة لمنع الرجل المسكين من الانتحار.

أسرعت إلى كوبـرى أكتوبر .. كـا لمجنون أخـذت اتفحص كل السائرين فوق الكـوبرى .. لكـن لم يكن أحد منهم يـرتدى بنطلـونا أسـود وقميصا أبيض .. ولم أشاهد أحدا يتلكأ فى سيره أمام سور الكوبرى تمهيدا للقفز فى المياه

ظللت أكثـر من نصف سـاعة أبحث عن الـرجل المجهـول الذى ينـوى الانتحار .

بـلا فائدة لم أعثـر عليه فعـدت إلى مكتبى ومن هنـا اتصلت بالشرطـة النهرية التى تجول لنشاتها باستمرار فى النيل .. وسألتهم إن كان أحمد قد انتحر وحاول الانتحار خلال الساعة الماضية ؟

وكانت المفاجأة انهم قالوا لى . نعـم .. لقد حاول احدهم الانتحار وألقى بنفسه إلى النيل .. لكننـا استطعنا انقاذه .. وهـو الآن فى مستشفى العجوزة تحت الملاحظة .

أسرعت إلى المستشفى .. وهناك بمجـرد أن شاهـدنى الرجل حتى صرخ فى وجهى : ألا تعرف القراءة ؟

قلت له متعجبا : لقد بحثت عنك على كوبرى أكتوبر.

قال فى غيظ : لكنى كتبت لك اننى ســوف انتحر من فوق كـوبرى قصر النيل وليس كوبرى أكتوبر.

بعـد أن نشرت قصة الـرجل البـائس .. انهالت تبرعات أصحـاب الخير لمساعـدته، وتـوفر مبلغ يكفـى لسداد ديونـه .. وان يقيم مشروعـا بسيطا يساعده على بدء حياة جديدة ..

وغادر الرجـل القاهرة سعيدا شاكـرا .. وبعد شهور تلقيت منـه رسالة قـال لى فيها انـه افتتح كشكا لبيع المرطبـات والسانـدوتشات وان الحيـاة تمضى به سلسة سهلة على خير وجـه .. وانه يتعجب كيف فكر ذات يوم فى أن يتخلص من حيـاته. ومضـت سنوات .. ونسيت فيهـا الـرجل وحكايتـه حتى فـوجئت به ذات يـوم يـدخل مكتبى .. وفى الحقيقـة فإننى لم أتذكـره



بسهولة .. فقد تغيرت ملامح وجهه كثيرا .. وكان قد أطلق لحيته أيضا.

تمالك على المقعد أمامى .. وقبل أن يعطينى الفرصة لأن أسأله عن أحواله تفجرت دموعه بشدة وأخذ يبكى كالأطفال.

قلت له : لاتقل لى انك عدت إلى فكرة الانتحار مرة أخرى؟

مسح دموعه التى تسللت عبر وجهه إلى لحيته. وقال : ليتنى كنت مت فى تلك المحاولة حتى لا أشاهد ماشهدته من عذاب.

قلت له : رويدك .. ماذا حدث لك بالضبط ؟

قال بحزن : ظننت أن الحياة ابتسمت لى للأبد فقد استقرت أحوالى وانتعش العمل فى كشك المرطبات والساندوتشات.. الذى كان يقع فى منطقة من البلدة تسيطر عليها بعد الجماعات الدينية المتطرفة وأنا لم أكن يوما متطرفا لكننى لاحظت أن هؤلاء لايشترون ولايتعاملون إلا مع أمثالهم .. فقد اطلت لحيتى وبدأت أتردد على المسجد للصلاة.

ولكنى لم أفكر أبدا فى الانضمام إلى إية من جماعتهم.

قلت له : ثم ماذا ؟

قال وهو يهز رأسه فى مرارة : جاء يوم وكانت الحرب قد اشتعلت بين هؤلاء وبين رجال الشرطة .. الذين سعوا إلى التبصر عليهم .. وفوجئت برجال الشرطة يداهمون البيت الذى كنت أسكن إحدى شققه وكانوا قد جاءوا للقبض على متطرف يسكن فى نفس البيت .. ووقتها ارتكبت غلطة حياتى فقد فتحت باب الشقة لأستطلع الأمر .. وبمجرد أن شاهدونى حتى اسرعوا بالقاء القبض علىَّ.

سألته : لماذا ؟

قال : أنا نفسى ظللت أسأل نفس السؤال .. لكنى حين القوا بى إلى داخل عربة الشرطة عرفت الاجابة .. فقد كانت لحيتى أطول من لحية أى من المقبوض عليهم رغم اننى لم أكن واحدا منهم.

ومضى يكمل حكايته قائلا : وارسلوا بى إلى سجن من السجون التى يضعون فيها أفراد الجماعات الدينية المتطرفة وهناك رأيت مالم أكن



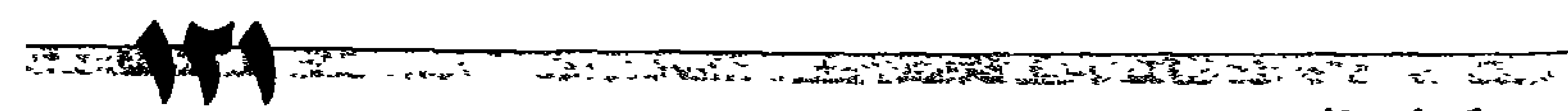
اتخيله على الاطلاق .. واكتشفت أن هذه الجماعات متنافرة كل جماعة تكره الأخرى وتحقد عليها.. لكن فى حالة القبض على فرد من أفراد أى جماعة.. فإن قيادتها تتولى الانفاق على أهله فى الخارج .. وداخل السجن أخذت كل جماعة تحاول استقطابى إليها .. وداخل السجن أيضا اكتشفت كيف يزداد عدد أفراد مثل هذه الجماعات .. لأنهم يقومون باستقطاب السجناء ومحاولة عمل غسيل مخ لهم حتى ينجحوا فى النهاية فى تجنيدهم إلى صفوفهم.

وأضاف . قضيت شهورا فى السجن أحاول من ناحية ان أثبت لرجال الأمن اننى لست عضوا فى هذه الجماعات .. ومن ناحية أخرى كنت مضطرا لمسايرة هذه الجماعات حتى يقوموا بالانفاق على أطفالى الذين لم يكن هناك من يتحمل مسئوليتهم وأنا فى السجن.. وفى النهاية تم اطلاق سراحى لكن للأسف فإن القبض علىَّ مرة واحدة وضعنى فى سجلات المشبوهين فى مجال التطرف.. وكلما قامت الشرطة بحملة للقبض على المتطرفين اخذونى من ضمنهم ..

وهكذا ظللت داخل السجن ظاهريا اتنقل فى الولاء من جماعة إلى أخرى لكنى فى الباطن لم أشعر ولو للحظة واحدة اننى أنتمى لجماعة منهم . بل اننى بدأت أرصد عيوبهم وهى كثيرة .. وأهمها انهم يريدون فرض معتقداتهم بالقوة .. بينما الاسلام دين السماحة والموعظة الحسنة . المهم اننى فى النهاية شعرت اننى تهت داخل دوامة من الأفكار الغريبة والمتناقضة .. فأعلنت فى النهاية براءتى من كل ذلك .. ثم مضت بى الأيام فى السجن حتى تم اطلاق سراحى لكنى بمجرد عودتى إلى بيتى وأولادى علمت أن كل جماعة من هذه الجماعات اعتبرتنى مرتدا عنها .. وانهم يبحثون عنى وينتظرون الفرصة الملائمة للانتقام منى وتنفيذ عقوبة المرتد من شخصى الضعيف.

كيف انتهت القصة ؟

لا أعتقد انها انتهت حتى اليوم .. لكن الرجل جمع أطفاله فى الظلام



وغادر بلـدته خلسـة .. وهو اليـوم يعيش فى مكـان مجهول فى إحــدى مــدن مصر المزدحمة.. بعد أن غير من شـخصيته وملامحه.. لكن الخوف لم يغـادر قلبه .. ومازال يتوقع فى أى لحظـة انتقام المتطرفين منه.

إنه أحد ضحايا التطرف.





اذا كانت الصحافة كما يقولون «مهنة البحث عن المتاعب» فانني فى كثير من الأحيان لم أتكلف جهدا كبيرا فى البحث عن هذه المتاعب لأن المتاعب كانت تضع نفسها فى طريقى وسواء كان ذلك مصادفة أو مجرد حظ فإننى أدين لتلك المصادفة وذلك الحظ بالكثير من القصص الصحفية المثيرة التى قمت بتغطيتها مثل حادث اغتيال الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب السابق.

كانت مصر قد بدأت تعانى من ارتفاع موجة التطرف والارهاب وكانت حوادث العنف قد بدأت تظهر على سطح الحياة اليومية وليس فى بعض مدن الصعيد فقط حيث كانت تتمركز قواعد هذه الجماعات بل وفى القاهرة نفسها حيث تحولت بعض أحيائها الشعبية مثل امبابة وبولاق الدكرور الى معاقل حصينة لهؤلاء المتطرفين.

والتهبت حدة المواجهة بين رجال الأمن والمتطرفين وفى كل يوم كنا نسمع إما عن محاولة لاغتيال أحد رجال الأمن أو القبض على بعض المتطرفين وبعض هؤلاء كان يقاوم رجال الشرطة بضراوة فيلقى مصرعه فى المواجهة.

وفى تلك الأيام كانت هناك ضجة كبيرة حول مصرع الدكتور علاء الدين

محيى المتحدث باسم هذه الجماعات.

كل هذه الظـروف جعلتنى أفكر فى اجـراء حديث صحفى مع وزير الـداخلية وكان وقتهـا اللواء محمد عبـدالحليم موسى. وفى الحديث تحدث الوزير بصراحة وكشف عن بعض أسرار التطرف والارهاب، وأكد لى أن رجال الأمن وضعوا أيـديهم على قائمة أعدهـا المتطرفون تتضمن أسماء بعض المسئولين وكبار الشخصيات الذيـن قرر المتطرفون اغتيالهم لكننى عنـدما طلبت من اللـواء محمـد عبدالحليم مـوسى أن يكشف لى عن بعض أسماء هذه الشخصيـات رفض وكانـت له وجهـة نظر أمنية لهذا الـرفض لكنى لم اذعن لرفضه.

وسألتـــه: على الأقل يجب أن أعـــرف هل ا نت من الشخصيــات التى أصبحت هدفا للمتطرفين؟.

صمت وزير الداخلية برهة ثم رد قائلا: نعم.. وهذا يكفى.

وأسرعت أغادر مكتبـه الى الجريدة فـرحا وقـد وضعت فى ذهنى عنوان الحديث الصحفى المثير والـذى يقـول «وزيـر الـداخليـة: انهم يـريـدون اغتيالى».

أعجب ابراهيم سعـدة رئيس التحرير بالحديث وسألنى إن كـان وزير الـداخلية قـد أعلن لى بالفعل ان المتطـرفين يـريدون اغتيـاله؟ فأعـدت على مسامعه كلمات الوزيـر على شريط التسجيل الذى سجلت عليه حوارى مع الوزير. فأمر بنشر الحديث على صفحة كاملة.

لكن فى المساء تلقيت مكالمة تليفونية مـن اللواء محمد عبدالحليم موسى الذى طلب منى أن اذهب للقـائه فى العاشرة من صبـاح اليوم التالى ــ وكان يوافق الجمعة ـ ليطلع على بروفة الحديث.

أخبرت رئيس التحرير برغبة الوزيـر فوافق لخطورة ما جاء فى الحديث ولأن من حق الوزيـر حتى آخر لحظـة أن يجرى ما يراه من تعـديلات على كلماته.

وصباح يـوم الجمعة... انطلقت بسيـارة الجريدة فى التـاسعة والنصف صباحا الى وزارة الـداخلية قبل موعدى مـع اللـواء عبد الحليم موسى لكن



ما ان دلفت السيارة أمام مسجد بميدان التحـرير وبالتحديد أمام مصلحة الأمن العـام وعلى بعد أمتـار من فنـدقى سميراميس وشبرد. حتى فـوجئت بدوى «فـرقعة» شديدة وشـاهدت أعدادا من النـاس يهرولون مسرعين فى اتجاهى من نـاحية ميـدان سيمون دى بـوليفار وهم فى حـالة اضطـراب . وارتبـاك واضحة وتـوقف السـائق مضطـرا.. والتفت يسألنى فى حيرة ان كنت أريـده أن يـواصل الطـريق يسـارا الى وزارة الـداخليـة لكنى أسرعت بالهبوط من السيارة دون ان أرد عليـه. فلقد استطعت بحكم الخبرة تمييز نـوع هذه الفـرقعة التى أعـرفها تمامـا فليس من الصعب نسيان صـوت اطلاق الرصاص.

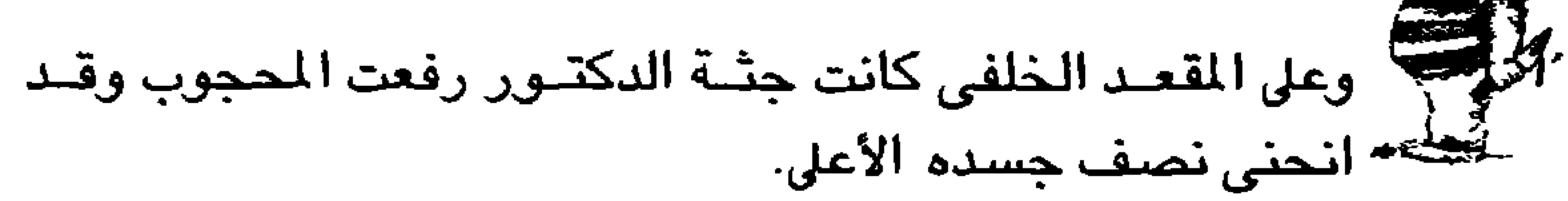
وأسرعت بإيقاف أول من صـادفته وكـان شابا فى الثـلاثينات يجرى فى حالة عصبية وهو يصرخ: قتلوه.. قتلوه.. سألته بلهفة: من؟

قال وهو يتابع الجرى: المحجوب كان المشهد غريبا بالفعل.. كل الناس يبتعـدون بأقصى سرعـة من مكـان الحادث حيث كـانت اصـوات طلقـات الرصاص تـدوى وأنا الوحيد الذى كنت أجـرى عكس الاتجاه ناحية مسرح الحادث لم أكن أفكر فى نفسى وكـانت مشاعر شتى تعصف بصـدرى وأنا ألهث نحو الشارع الضيق الذى يفصل بين فندقى شبرد وسميراميس.

وعنـدمـا خطوت داخل الشـارع لمحت رجل أمن على بـاب فنـدق شبرد يحمل مسـدسـا وهـو يشير لى بعصبية أن ألجأ الى أى سـاتـر أحتمى بـه فواصلت العدو حتى دخلت فندق شبرد..

دقائق أو لحظات ـــ لا أعرف ـ عصيبة يصعب وصفهـا.. فى الجو كانت رائحة بـارود الرصاص وصرخـات هيستيرية لامرأة عجـوز ورجال الأمن ينـدفعون هنـا وهناك استطعت السيطـرة على انفعالاتى وغـادرت بوابـة الفنـدق فى اتجاه شـاطىء النيل حيث شـاهـدت سيـارة الـدكتـور رفعت المحجوب تقف بانحراف بالقرب من رصيف كورنيش النيل وعندما اقتربت من السيارة ونظرت داخلها جاهدت حتى لا يصيبنى الغثيان.

كان المشهـد فظيعا للغايـة... الدمـاء تنزف بغزارة من سـائق السيارة بينما ثقوب الرصاص واضحـة فى الضابط الحارس الذى يجلس الى جواره



وعلى المقعد الخلفى كانت جثة الدكتور رفعت المحجوب وقد انحنى نصف جسده الأعلى.

وعدت كالمجنون الى فندق شبرد.. وأسرعت التقط أول تليفون صادفنى لأتصل بابراهيم سعدة رئيس التحرير. وكان فى مكتبه يستعد لكتابة مقاله السياسى الاسبوعى.

قلت له بصوت منفعل: لقد قتلوا الدكتور رفعت المحجوب.

صرخ ابراهيم سعدة فى التليفون: هل جننت.. من؟ المحجوب؟ هل انت فى وعيك ألم تكن ذاهبا الى وزير الداخلية؟ من أين تتكلم؟

أكدت له ما رأيته بعينى وتخيلته وهو يستجمع أفكاره ويحاول استيعاب الخبر..قلت له: لن أغلق هذا الهاتف سأتركه مفتوحا معك قدر الامكان حتى استطيع جمع تفاصيل الحادث.

قال لى : هل أرسل لك محررا أو اثنين؟

قلت له بل أرسل جميع مصورى الجريدة.. ان ما أراه أبشع من أن تسجله الكلمات خلال دقائق كان المكان قد غص با لمئات من رجال الأمن وعلى رأسهم وزير الداخلية اللواء محمد عبدالحليم موسى.

وكان الجناة قد تمكنوا من الفرار وفى طريق أحدهم استطاع اصابة وقتل ضابطين وظللت فى مكان الحادث أحاول جمع تفاصيله من شهود الواقعة وحضر مصورو الجريدة والتقطوا عشرات الصور لكنى عند عودتى الى الفندق شاهدت سائحا فرنسيا يحمل فى يده فيلما من أفلام التصوير الفوتوغرافى.. واستطعت تمييز بعض كلمات بالفرنسية كان يوجهها لموظف الاستقبال بالفندق تفيد بأنه يريد البحث عن معمل تصوير لطبع الفيلم الذى يحمله وانه تمكن من التقاط صور لما حدث من شرفة غرفته بالطابق الخامس بالفندق.

كانت فرصة ذهبية بالنسبة لى لكن فرنسيتى الضعيفة لم تكن لتساعدنى فى اقناع الرجل بأن يعطينى الفيلم فأسرعت مرة أخرى أشرح الموقف لابراهيم سعدة فى التليفون وهو متحدث جيد باللغة الفرنسية وطلبت منه أن يتولى اقناع السائح الفرنسى بأن يعطينى الفيلم لنتولى



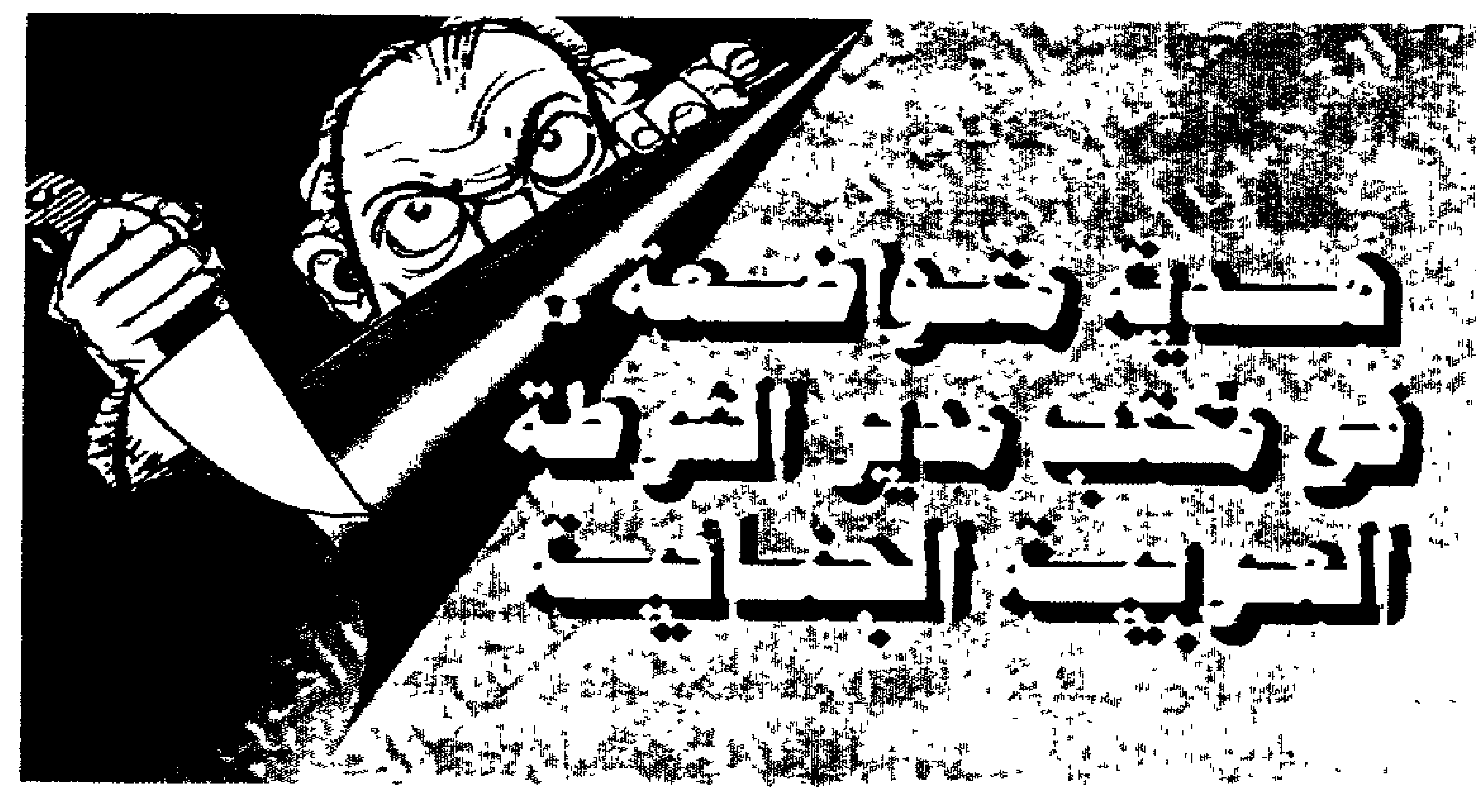
تحميضه وطبعه فى معامل الجريدة.

ووافق السائح بعد أن أقنعه رئيس التحرير بأننا سوف نعيد له الفيلم الذى كانت بعض لقطاته تصور جولة السائح وزوجته بين آثار القاهرة.

وعـدت الى الجريـدة بتفـاصيـل الحادث وفيلم الســائح الــذى لم يكن يحتوى سوى على لقطـة واحدة لأحد الجناة وهـو يهرب مسرعا نحو النفق المواجه للفندق.. والمدفع الـرشاش فى يده وقد نشرت هــذه الصورة فى مكان بــارز على الصفحة الأولى أمــا تفـاصيل الحادث وصوره فقـد خصص لها رئيس التحرير عشر صفحات كاملة.

كــان يومــا غير عادى.. وفيما بعـد كشفت التحقيقات أن الجنـاة كانــوا يــريدون قتل وزيــر الــداخلية لكنهم أخطأوا سيــارتــه التى تشبه سيــارة الراحل الدكتور رفعت المحجوب وتصــادف أن سارت فى نفس موعد وخط سير سيارة اللواء محمد عبدالحليم موسى.

ومازلت احتفظ بحديثه معى والــذى لم ينشر بالطبع وكان عنوانه: انهم يريدون اغتيالى.



صلاح.. ماذا فعلت بك الدنيا يا ولد؟

زرعت الحب ورويته من عمق بـراءتك.. رعيته من صـدق فطرتك.. لكن وا.. أسفـاه زرعوا الأشـواك فى قلبك الصغير فنزف حتى الموت: وحصـدت الغدر مرارة وحصرة. رسمت الكون بأحلامك لوحـة جميلة ملونة.. وعندما جاء النهار وتبخرت مملكة الأحلام. ابتلعتك أدغال الغابة الموحشة.

طفل أنت.. أراد لنفسه مكانا بين عالم الكبار لا يعترفون ببراءة الصغار ولا يحترمون سوى زيف الكبار ونفاق الكبار.

أين أنت.. وماذا فعلت بك الدنيا يا ولد؟

حين تبكى أم على ولدها.. تتوقف الملائكة عن اللعب والغناء وحين تنوح أم على ضناها تتوقف الأشجار عن التنفـس والزهور عن التفتح وتلوذ بقية مخلوقات الله البريئة بصمت التأثر والخشوع.

هكـذا أحسست وأنا جـالس فى مكتب مـديـر الأمن العام المصرى وأنـا استمع معه الى مأساة هذه الأم التـونسية التى قطعت آلاف الأميال وانفقت كل مدخرات عمرها وجاءت الى القاهرة.

لتقول: ولدى.. سـاعدنى يا سيدى فى العثـور على ولدى.. قل لى أين هو اعطك نور عينى.. وأعش راضية محرومة من النور.



قال لها: احكى حكايتك.. يا سيدتى.

قالت: اسمى سالمة عمار العزيزى.. منذ شهور جاء ولدى الشاب صلاح الدين بن الهادى بن الطيب الى مصر. ثم اختفى وانقطعت أخباره.. وكل ماأريد معرفته يا سيدى.. هل ولدى على قيد الحياة.. أم أن الأمانة ذهبت الى صاحبها؟

حتى رجال الأمن.. لهم قلوب.

حاول الضابط الكبير ان يسرى عن الأم التونسية الحزينة وان يهدىء من روعها.

وعدها أنه سوف يبذل ورجاله كل جهد حتى يصل الى الحقيقة فى قصة ولدها الذى اختفى فى مصر.

ويتصل مباشرة بالعميد عثمان موسى مدير الشرطة الجنائية العربية فى القاهرة الذى بدأ من فوره رحلة بحث شاقة عن الشاب التونسى ابن التاسعة عشرة. الذى اختفى من مصر وكأنه « فص ملح وذاب ».

ومهمة مثل هذه لا يمكن ان تنتهى فى يوم أو يومين.. ان القاهرة وحدها تكتظ بملايين الناس من سكانها ومن الغرباء من كافة أرجاء الأرض وهكذا عادت الأم التونسية الى تونس.. لكنها لم تتوقف عن الحضور الى مصر كل أسبوع لتسأل عن مصير ابنها الغائب.

وفى كل مرة كانت ترجع الى وطنها أكثر حزنا . فلا أحد يعرف على وجه التحديد ما حدث لولدها صلاح.

ويلتقط العميد عثمان موسى مدير الشرطة الجنائية العربية خيطا من الأم التونسية إنها تشير بأصابع الاتهام الى شاب مصرى يعيش فى مدينة الاسكندرية. وتقول أنه كان يتعامل فى التجارة مع ولدها فى ليبيا. حين كان ابنهما يذهب الى هناك كل فترة ليتاجر ويوفر مصروفات دراسته الجامعية فى تونس.

وتقول أم صلاح إنها علمت أن ولدها اتهم شريكه المصرى بسرقة ٤٥٠٠ دينار ليبى وعندما عاد الشريك الى مصر أسرع ابنها خلفه، ومن ذلك اليوم لا يعرف أحد شيئا عنه.



وسرعان ما تأتى تحريات مدير الشرطة العربية بمعلومات خطيرة ومثيرة.

تقول تحريات العميد عثمان موسى: ان الشاب التونسى صلاح حضر الى الاسكندرية بالفعل وأقام فى فندق « الجبل الأخضر » وقال موظفو الفندق أنهم فى مساء اليوم التالى لوصوله. شاهدوه يعود مع شخص آخر كان يحمل علبة حلوى.

وأضاف موظفو الفندق: وبعد انصراف الشخص المجهول سمعنا صوت صراخ التونسى. ووجدناه يتلوى من الآلام ويبدو أنه تناول بعض هذه الحلوى.. ولا.. نعلم ما فيها.. المهم أننا استدعينا سيارة إسعاف نقلته الى المستشفى الجامعى.

ماذا حدث فى المستشفى الجامعى؟

قالت التحريات أنه بعد علاج صلاح اختفى. وتم تسجيل ذلك فى دفتر المستشفى تحت عبارة « المريض هرب ».. ويتم إبلاغ الشرطة.

لكن ماذا عن شريكه المصرى؟

يتم القبض عليه ويحال الى النيابة التى تباشر التحقيق معه فيدافع عن نفسه قائلا: إنه ذهب بالفعل الى ليبيا وتعرف على الشاب التونسى صلاح وباع له ١٥٠ حذاء بمبلغ ١٢٠٠ دينار ليبى. لكن صلاح طلب منه استعادة المبلغ بحجة أنه يريد السفر الى تونس لرؤية والدته. فرفض لأن الصفقة تمت وأعطاه ٩٠ دينارا من نقوده الخاصة ثم تركه وسافر الى مصر، ومن ساعتها لم يشاهده مرة ثانية.

وتفرج النيابة عن الشريك المصرى، فلا توجد شبهة قانونية.

وتصل القضية الى طريق مسدود.

ويظل السؤال بلا إجابة: أين صلاح؟

هذه المرة.. كانت هناك مفاجأة سارة فى انتظارها.

كعادتها تحضر كل أسبوع من تونس.

وتدق الأم التونسية باب مدير الشرطة العربية الجنائية.

ينهض الرجل مسرعا ليساعدها على الجلوس.

سيدتى: للمرة العاشرة ترهقين نفسك بـالحضور من تونس.. لقد كنت أكتبُ لك الآن برقية بآخر معلوماتى.

تهمس الأم وكأنها تتوقع خبرا سيئا: هل عثرتم على جثة ولدى؟

أبدا.. لقـد التقيت بمواطن ليبى أكد لى أنـه شاهد ابنك فى ليبيا بعـد آخر مرة جاء فيها الى مصر.

تصرخ بفرحة: يعنى ولدى على قيد الحياة؟

أنا لم أقل شيئا محددا.. فقط أبلغتك بآخر معلوماتى.

تنهض مسرعة الى الباب وكأنها تريد أن تطير.

وهى تقول: قلبى يقـول لى: إنه مازال على قيـد الحياة.. أنا مسـافرة الى ليبيا.. أنا قادمة اليك يا ولدى.

ولكنهـا ما أن تصل الى بـاب المكتب حتى تتوقف.. وتستـدير فى حـزن وخجل الى العميد عثمان موسى.

سيدى.. ماذا أفعل.. لقـد أنفقت حتى الآن ٢٠ألف دينار وأنا أبحث عن ولدى.. هل تصدق أننى لا أملك جنيها واحدا الآن؟

يرد عليها مبتسما:

سيدتى. هل تقبلين منى هدية متواضعة.. تذكرة سفر الى ليبيا؟



فى ذلك المساء كان صديقى المحامى المعروف محمد زين بركة قد أعد لى مفاجأة من النوع الذى يعلم أنه يستهوينى.. وهل أكثر من قصة صحفية مثيرة يريد الصحفى؟..

فى مكتب صديقى المحامى كانت « سوزان » تجلس فى انتظار أن تروى لى حكايتها الغريبة.. ولم أصدق حين جلست الى هذه الفتاة الجميلة ابنة الثلاثين الجامعية التى تنحدر من أسرة معروفة فى إحدى المحافظات المصرية.. إنها قد غادرت فى صباح نفس اليوم سجن النساء بالقناطر.

أخذت «سوزان» تروى حكايتها قائلة:

— بعد أن أنهيت دراستى الجامعية بتفوق.. حصلت على عمل هو سكرتيرة مدير إحدى شركات الاستيراد والتصدير فى القاهرة، وكان هذا يعنى أن أرحل من بلدتى وأعيش وحدى فى العاصمة.. ومازلت حتى اليوم أذكر بأسى يوم غادرت بيت أهلى.. ودعوات أمى العجوز تسبقنى بأن يوفقنى الله ويحمينى من شياطين المدينة وما أكثرهم.

وبدأت عملى فى صباح اليوم التالى.. وفوجئت بأعباء وظيفتى الكبيرة.. فقد وجدت أننى لن أكون مجرد سكرتيرة تنظم مواعيد وتقارير مدير الشركة وتستقبل زواره.. بل بدأ الرجل من اليوم الأول يخولنى صلاحية

اتخاذ بعض القرارات نيابة عنه.. وقد جعلنى أشعر بثقل المسئولية الملقاة على عاتقى، واجتهدت حتى أكون عند حسن ظن صاحب الشركة ومديرها.

ومع الأيام استطعت أن أكسب تقديره واحترامه لكفاءتى وإخلاصى فى العمل أثناء غيابه.. كما حظيت بحب زميلاتى وزملائى فى الشركة.. لحسن معاملتى معهم من ناحية، وإصرارى على أن يكون سلوكى الشخصى مثاليا من ناحية أخرى.

وبدأت أتذوق طعم النجاح فى العمل..

وتصورت أن الحياة قد فتحت ذراعيها لآمالى.. ولم يخطر على بالى للحظة واحدة أن القدر يمكن أن يخبىء للإنسان ما لا يتوقع ولا يتخيل.

واستطردت «سوزان» فى رواية حكايتها قائلة:

— كانت عمليات استيراد بعض الخامات الأولية من الخارج التى تقوم بها الشركة تفرض وجود عملات أجنبية فى مقر الشركة أهمها الدولار الأمريكى وبمبالغ ضخمة.. وكان هناك فى ذات الوقت سوق سوداء للعملات الأجنبية يتزعمها تجار كبار.. وكثيرا ما كان صاحب الشركة يطلب منى أن اتصل بتاجر العملة.. وأطلب منه إحضار عدة آلاف من الدولارات.

وفى ذلك اليوم المنحوس اتصلت بتاجر العملة بناء على أوامر من صاحب الشركة.. وطلبت منه إحضار مبلغ خمسين ألف دولار.. لكن لم تمض سوى ساعات حتى فوجئت بعدد من رجال الشرطة يداهمون المكان..

وتساءل كبيرهم: أين المدعوة «سوزان»؟

قلت له: أنا..

رد بعنف. أنت مقبوض عليك.

وتكمل «سوزان» حكايتها!

— الصدمة شلت تفكيرى ووجدت رجال الشرطة يصطحبوننى إلى النيابة وسط ذهول ودهشة موظفى الشركة.. وكاد عقلى أن يتوقف وأنا أحاول البحث عن سبب لكل ذلك دون جدوى.

وفى النيابة بدأت أعرف تفاصيل الصورة.. فعندما ذهب تاجر العملة إلى البنك وسحب المبلغ المطلوب من حسابه.. وبعد أن غادر البنك فوجىء بأشخاص مجهولين يحيطون به ويسرقون مبلغ الخمسين ألف دولار ويهربون.

وما علاقتى أنا بما حدث؟

قال المحقق: لا أحد يعرف ان التاجر كان فى طريقه لإحضار هذا المبلغ الضخم من البنك سواك.. ولابد أن علاقة ما تربطك بهذه العصابة.. فهيا اعترفى..

عبثا حاولت أن أدافع عن نفسى لكن أحدا لم يستمع لى.. وفى النهاية قررت النيابة حبسى على ذمة التحقيق.. وخلال ساعات كانت عربة الشرطة تقطع بى الطريق خارج القاهرة.. إلى سجن النساء بالقناطر.

كان انفعالها قد وصل إلى الذروة.. فتفجرت دموع سخية من عينيها.. وتركتها تبكى حتى توقفت وأخذت تلتقط أنفاسها وهى تمسح دموعها..

ثم مضت تقول:

— أنا فى سجن النساء؟ عجز عقلى عن استيعاب الأمر وهم يدفعوننى داخل بوابة السجن الخشبية الضخمة.. ويطلبون منى أن أخلع ملابسى لأرتدى ملابس السجينات البيضاء.. وأخذت أتحرك مثل آلة بلا إحساس أو كأننى منومة مغناطيسيا فى استسلام عاجز لا أدرى سببه.. وأخيرا اصطحبتنى حارسة ضخمة الجثة إلى زنزانة كبيرة.. فتحت الباب ودفعتنى بقسوة إلى داخل الزنزانة ثم أغلقت الباب وانصرفت. تجولت بنظرى فى الزنزانة الواسعة..

كانت أول مرة فى حياتى أشاهد زنزانة.. ورأيت مجموعة مختلفة الأعمار من السجينات ينهضن ويقتربن فى اتجاهى.. لا أعرف لماذا شعرت بالخوف عندما أحطن بى..

وسألتنى إحداهن ساخرة بصوت أجش : أهلا يا عروسة.. ما جريمتك؟

قلت لها بهمس : لا أعرف ..

اندفعت السجينات فى ضحك هستيرى يسخرن منى .. ودفعتنى



إحداهن بعنف إلى الحائط ..

وصرخت فى وجهى : هل تحملين معك سجائر ؟

وتقدمت نحوى سجينة أخرى مهوشة الشعر ، كثيفة الحاجبين ، ظننت أنها مجنونة ، وبدأت تجذبنى فى قسوة من شعرى .. وأحاطت بى بقية السجينات والشر فى عيونهن ..

فجأة ارتفع فى المكان صوت حازم .. يقول : دعوها وشأنها .. لاأحد يقترب منها بسوء ..

نظرت إلى نهاية الزنزانة حيث مصدر الصوت .. ولم أصدق عينى ..

كانت صاحبة الصوت .. هى الفنانة ماجدة الخطيب ..

أعطت الفنانة ماجدة الخطيب ـ وقد كانت وقتها أشهر سجينة فى سجن النساء على ذمة محاكمتها ـ حمايتها «لسوزان» .. فقد تعاطفت معها من النظرة الأولى وراودها إحساس شديد بأن هذه الفتاة الجميلة بريئة وانها لايمكن أن تكون متورطة مع عصابة خطيرة..

وعاشت « سوزان » ١٠٠ يوم فى سجن النساء تنتظر موعد محاكمتها .. وطوال فترة سجنها ظلت فى رعاية الفنانة ماجدة الخطيب .. التى كانت فى السجن ترعى بعض السجينات الفقيرات اللائى أمنت ببراءتهن بل انها وكلت على نفقتها بعض المحامين للدفاع عنهن .

وفى السجن نشأت صداقة بين «سوزان» وماجدة الخطيب التى حرصت على ابعاد «سوزان» عن السجينات المجرمات، وكانت تواسيها وترفع من روحها المعنوية ، وتوصيها بالصبر وتقول لها انها متأكدة من براءتها .

وصدق إحساس ماجدة الخطيب ..

وحان موعد محاكمة « سوزان » ..

وبعد أن طالع القاضى أوراق القضية أمر فى الحال بالإفراج عنها ، لأن براءتها كانت واضحة وضوح الشمس ..

لكن « سوزان » أبت أن تغادر قاعة المحكمة إلى الحرية ..

فسألها القاضى متعجبا : لماذا يا ابنتى .. لقد أعطيتك حريتك .. فلماذا



ترفضينها ؟ قالت له بأسى : لكنك يا سيدى لن تستطيع أن تعيد لى المائة يوم التى قضيتها ظلما فى السجن .

لم تسعف القاضى أية إجابة ..

قالت لى «سوزان » وها أنا قد خرجت من السجن الذى دخلته ظلما أجد المجتمع يدخر لى عقابا آخر على الجريمة التى لم أرتكبها.. فقد اكتشفت أن الشركة قد فصلتنى من عملى.. وحتى جيرانى أصبحوا يتجنبوننى ويتحاشون التعامل معى.. حتى تحية الصباح لا يلقونها علىّ.. فأى ظلم أكثر من ذلك يمكن أن يتعرض له إنسان برىء لم يفعل شيئا. حتى صديقاتى اختفين واحدة بعد الأخرى ولم تعد أى واحدة منهن ترغب فى صداقة إنسانة «رد سجون» قلت لها: يجب ألا تنظرى للحياة بهذا المنظار الأسود.. لقد كانت تجربة مؤلمة بلا شك . لكن فى إمكانك أن تبدئى صفحة جديدة، تسطرينها بالأمل والعزيمة.

تنهدت وهى تقول: صفحات حياتنا لا نكتبها.. بل يكتبها القدر.

وقد كتب القدر فعلا صفحة أخرى فى قصة «سوزان» لكنها لم تكن صفحة بيضاء كما تمنيت لها..

بعد حوالى عام سمعت أن الشرطة قبضت عليها مرة أخرى.. واتهمت فى قضية (آداب) والسبب أن بعض السجينات اللائى كن معها فى السجن ومتهمات فى قضايا (آداب) بعد الإفراج عنهن اتصلن بها.. وكانت تليفوناتهن مراقبة..

وعادت «سوزان» مرة أخرى إلى سجن النساء..

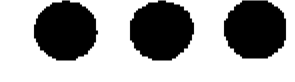


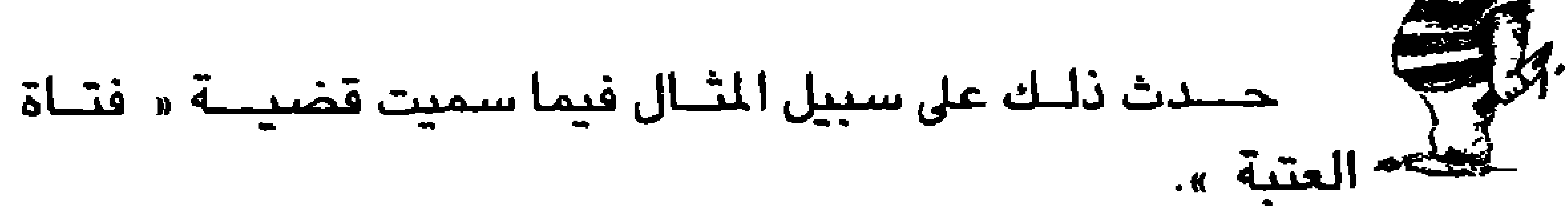
لابد لى من أن أعترف: كم تكون الكلمة ظالمة فى بعض الأحيان عندما تتحول إلى وحش جامد بلا إحساس أو شعور.. وتنشب مخالبها فى قلوب الأبرياء.

ولابد لى من أن أعترف أننى فى بعض الأوقات وخلال سنوات عملى الطويلة فى صحافة الحوادث والجرائم كنت أفتح عينى فجأة على حقيقة تثير الرعب وهى أن الصحافة أحيانا وهى تلهث بجنون خلف الإثارة والسبق الصحفى، تدوس الأبرياء وتظلمهم، ويتحول الصحفى من محقق يبحث عن الحقيقة إلى قاض متعجل يصدر أحكامه فى تسرع ودون روية.

ومازلت أتذكر فى أسى قضايا كثيرة مريرة كانت الصحف تتسابق فيها على نشر العناوين المثيرة والصفحات المطولة عن اتهام شخص بجريمة ما، رغم انه لم يقدم للمحاكمة بعد ولم يصدر فى حقه أى حكم رغم ان المتهم فى كل الأحوال برىء حتى تثبت إدانته.

لكن الصحافة أحيانا تقلب الآية وتجعل من المتهم مدانا. حتى تثبت براءته.. وساعتها بماذا تنفع البراءة وقد راحت سمعته ونالت منه الألسن ولوثته الأقاويل والافتراءات؟!





حـــدث ذلـك على سبيل المثـال فيما سميت قضيـــة « فتــاة العتبة ».

ففى ليلة رمضانية وأهل القاهرة يعودون إلى بيوتهم تفجرت القضية فى موقف باصات ميدان العتبة المزدحم، كان العشرات من الناس يتدافعون إلى الباصات لتنقلهم إلى بيوتهم، عندمـا اندلعت فى المكان صرخة فتاة تستغيث. ثم حدث هرج ومرج، وزحــام وضجيج وفوضى، لم تتوقف إلا حين أسرع أمين شرطـة تصادف وجـوده فى المكـان بإطـلاق بعض الأعيرة الناريــة فى الهواء لفض الزحام.

وفى الصباح تســابقت صحف القاهرة فى وصف تفـاصيل المأساة التى زعمت حـدوثها فى مـوقف البـاصات وقـالت إن فتـاة كانت تحاول ركـوب البـاص مع والـدتها قـد تعـرضت على سلم البـاص ثم فى الموقف المزدحم لعملية اعتـداء وحشى من بعض الأشخاص، وأن رجـال الشرطة والمواطنين تمكنوا من القبض على اثنين منهم أحـدهما عامل بسيط والثـانى موظف فى أحد البنـوك ويدعى جمال، وقد باشرت الشرطـة التحقيق معهما فى الجريمة البشعة.

وكأن الصحف والصحفيين قد أصيبوا بالجنـون فجأة.. فلم يعد هناك من حـديث إلا فتاة العتبـة والمهزلة التى تعـرضت لها، حتى كبـار الكتاب بدأوا يخوضون بأقلامهم فى القضيـة.. فهذا يتساءل كيف يمكن أن ترتكب مثل هـــذه الجريمـــة الفظيعـة فى ميـــدان عـــام ووسط عشرات المواطنين ولا يحرك أحـدهم ساكنـا لإنقـاذها من بـراثن الـوحوش البشريـة؟ وذلك يطـالب بتوقيـع أقصى العقوبـة على الجنـاة علناً وفى نفـس الميدان الـذى ارتكبوا فيه جـريمتهم ليكونوا عبرة وعظة لمن تسـول له نفسه أن يفعل مثل هذه الفعلة الشنيعة.

وأخـذت الصحف تتابع بشكل يـومى أخبار التحقيق مع المتهمين وقـد تبين أن أحـدهما وهو المحـاسب جمال معوق ويعـانى من شلل فى قدميـه. ولا يستطيع السير سوى بمساعدة جهاز يرتديه فى قدميه.

وحين نشرت الصحف فى صباح اليـوم التالى أن الشـاب جمال ـ يحاول



الانتحـار ــ بقطع شرايين يـــده فى قسم شرطـة الموسكى، علقـوا على الخبر قائلين: يريد أن يتخلص من عذاب ضميره.. وينهى حياته.

●●●

وطالت تحقيقات النيابة فى القضية..

ولكن الصحف طوال هذا الوقت كـانت قد أصدرت حكمها بإدانة جمال والشاب الآخر. وكانت المحكمة قد أصدرت حكمها بالفعل وانتهى الأمر.

وذات يـوم وجدت على مكتبى رسـالة قـادمة من سجن طـره، وعندمـا فتحتها فوجئت انها من الشاب / جمال المتهم فى قضية فتاة العتبة أرسلها لى من زنزانته.

وقـال لى فى رسالتـه المؤثرة انـه زوج وأب لطفلتين صغيرتين وانه ليلـة الحادث كـان ذاهبا لإجـراء اتصـال هاتفـى من سنترال العتبة لأحـد تجار السيارات خارج القاهرة للاتفـاق معه على شراء سيارة مجهزة من سيارات المعوقين وانه عندما حاول بعد ذلك صعود الباص فوجىء بصراخ الفتاة ثم تـدافع الناس وألقـوا به على الأرض، فسقط فى مكـانه متأثـرا بعاهتـه التى لا تساعده على النهوض بسهولة.

ثم فوجىء بـالناس يشيرون إلى رجل الشرطـة ناحيته. ويصرخـون هذا هو واحد منهم؟ فقـام رجل الأمن بالقبض عليه. ورغم انه ظـل طوال الوقت يردد انـه برىء ولم يفعل شيئا إلا أن أحـدا لم يصدقه وقال انـه اعتقد أن الناس جميعا قد أصيبوا بالجنـون. وأن الصحافة لم ترحمه ونعتته بأسوأ الأوصاف رغم انه يرثى لحال الفتاة الضحية، لكنه ليس الجانى كما يتخيل الجميع.

وكنت قد تعـودت خلال لقاءاتى المتعددة بنـزلاء السجون على أن أسمع من الجميع روايـة واحدة ملخصهـا «أنـا برىء» لكنى بعـد أن انتهيت من رسالة جمال.. قال لى إحساسى: هذا الشاب فعلا.. برىء.

●●●

ولأن الصحفى لا يمكنـــه الاعتماد على إحســاســه فقط.. فقـــد قمت فى صباح اليوم التالى بالزيارة التى كان لابد أن أقوم بها.



فى ساعة مبكرة من الصباح كنت وزميلى المصور الفنان فاروق ابراهيم نصعد درجات ذلك المنزل القديم المطل على القلعة حيث يسكن الشاب «جمال» وكانت المفاجأة الأولى حين فتحت لنا الباب امرأة شابة على درجة كبيرة من الجمال.

قالت لنا: أنا زوجة جمال.. فهل يمكن أن يفكر زوجى فى فتاة أخرى؟. ودخلت شقة جمال المتواضعة وجلست زوجته تروى لى قصة حبهما وزواجهما وتؤكد بدموع عينيها أن زوجها برىء - وأنها زوجته وتعرف كم هو رجل خجول ومهذب ولا يمكن أن يرتكب هذه الفعلة الشنعاء.

من اللحظة الأولى للقبض عليه واتهامه وقفت الزوجة الشابة المخلصة إلى جوار زوجها. ولم تهتم كثيرا بما كانت الصحف تكيله من اتهامات وأوصاف بشعة فى حق زوجها.

كانت تقول دائما: زوجى برىء.. اسألونى أنا.

وعانت كثيرا وهى تقضى أيامها فى رعاية صغيرتيها، وزيارة زوجها فى السجن ثم الركض بين مكاتب المحامين والمحكمة والنيابة.

وكتبت رسالة الزنزانة التى أرسلها لى جمال من السجن.. وكتبت عن زيارتى لزوجته فى بيت القلعة.

ونشرت القصة فى أخبار الحوادث - التى كانت الصحيفة الوحيدة التى قالت كلمة حق فى قضية جمال وفتاة العتبة..

وأثبتت الأيام ان «أخبار الحوادث» كانت على حق..

● ● ●

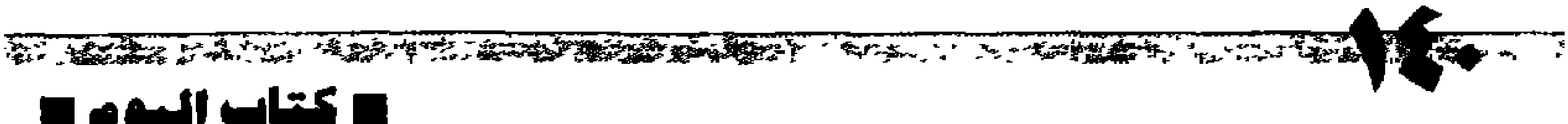
يوم صدور الحكم فى القضية....

كان الجميع يتوقعون أن يحال جمال وزميله إلى مفتى الديار للموافقة على إعدامهما أو على الأقل أن يقضيا بقية العمر فى السجن.

ولكن على المنصة كان يجلس قاض عادل

وصدر الحكم الذى أذهل الجميع: البراءة.

وسقط جمال مغشيا عليه داخل قفص الاتهام، وأسرعت زوجته المخلصة نحوه مع طفليها الصغيرين. وخرج محررو الصحف الذين سبق





أن أصدروا أحكامهم بإدانة جمال.. خرجـوا من قاعة المحكمة فى صمت وقد سقطت رؤوسهم نحو الأرض.

وفى المساء دق جرس تليفونى...

وقـال المتحدث: أنـا جمال.. وأتحدث إليك الآن من بيتى بعـد أن عشت ما يقـارب العام ظلما فى السجن.. وأهلى قـد أقامـوا احتفالا ببراءتى.. لكنى صممت على أن يحتفل معى من وقفـوا إلى جوارى وقـالوا كلمـة الحق.. إنى أدعو كل محررى «أخبار الحوادث» إلى حفل براءتى.

قلت لـه: مبروك.. لكنى أعتقـد أن هنـــاك صعـوبـة فى أن يقـوم جميع المحررين بزيارتك.. هل يكفى محرر واحد بالنيابة عنهم..؟

سألنى : من؟

قلت : أنا .



تلك كانت عادتهم معى.. لايتصلون بى إلا بعد منتصف الليل، ودائما بعد عمل شاق، ودائما بعد أن أكون قد استسلمت تماما للنوم.. هكذا تعود رجال مكافحة المخدرات أن يفعلوا معى عندما كانوا يريدون اصطحابى معهم فى إحدى مأمورياتهم الخطرة لمطاردة تجار ومهربى المخدرات.

فى تلك الليلة أيضا أيقظونى من «عز نومى».. وماهى إلا ساعة واحدة حتى وجدت نفسى محشورا فى سيارة تنهب الطريق إلى مدينة شرم الشيخ ضمن قافلة سيارات تابعة لإدارة مكافحة المخدرات.

لم أستفسر منهم عن الواجهة التى نقصدها، أو طبيعة المهمة التى يفترض أننى سوف أقوم بتغطيتها، لأنى أعلم مقدما أننى لن أحصل منهم أبدا على اجابة شافية فقد تعودت صمت ضابط مكافحة المخدرات.

لكنى أحسست خطورة المهمة فى نظرات عيونهم المتوقدة فى الظلام الحالك، كانت الساعات تمضى متوترة والقافلة مازالت على الطريق الصحراوى الطويل.

ويطل الفجر من وراء جبال رأس محمد.. ثم تشرق الشمس أخيرا عندما نتوقف فى ميناء شرم الشيخ.. ويقفز الضباط فى رشاقة من



السيارات حاملين أسلحتهم إلى لنشين صغيرين من لنشات المطاردة البحرية.

وحين استقر فى أحد اللنشين يهمس اللواء مصطفى الكاشف فى أذنى: الآن سوف ننطلق إلى عرض البحر الأحمر، لمطاردة سفينة تهريب تحمل خمسة أطنان من الحشيش.

أتشاغل بفحص الكاميرا والأوراق، أحاول أن أدارى ارتباكى ذلك أن اللواء الكاشف لايعلم أننى لاأعرف السباحة.

ليس طعم الملح ولا دوار البحر.. ولكنه البحر الهائج الذى أخذ يتلاعب فى قسوة باللنشين الصغيرين طوال النهار، تأتى موجة عملاقة مثل مارد جبار فترفع النش ببساطة إلى ارتفاع خمسة عشر مترا كأنه طفل ضعيف بلا حول ولاقوة.

ثم فى اللحظة الأخرى تقذف به فى عنف إلى أسفل.

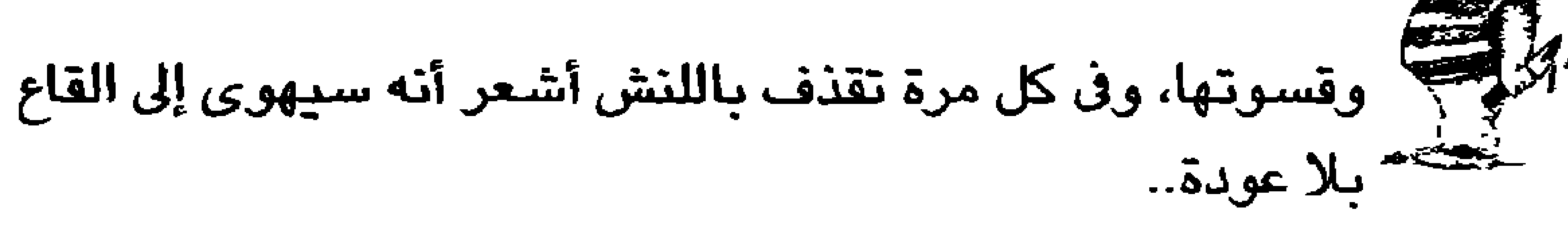
وركاب اللنش من الضباط يحاولون امتصاص الصدمة، كل يحاول التشبث بما يمكن أن تقبض عليه يداه، وعلى أرض اللنش ألقى الضباط بأسلحتهم.. ماذا يفعل مسدس أو مدفع رشاش فى مواجهة بحر هائج.

نهار طويل ونحن نشق عرض البحر.. وفى نفس اللحظة التى سقطت فيها الشمس بين الأمواج الثائرة عند الغروب كنا نعبر مضيق «جبال الزيت» فإذن ماعانيناه من عنف الأمواج كان مجرد مزاح بسيط، حين وجدنا أنفسنا نواجه أيضا الظلام والبرد القارس، وعرض البحر الأحمر المخيف يهمس بحّار أسمر نحيف: سترك يارب.

إذا نجونا من الأمواج المجنونة فهل ننجو من أسماك القرش التى تمرح فى الظلام من حولنا.. وهل ننجو من خطر الشعب المرجانية التى يتعثر اللنشان بينها فى تخبط وكأننا نسير فوق حقل ألغام.

ليس هناك إنسان لم يجرب طعم الخوف.. الخوف يولد مع المرء لكن الرعب شىء آخر.. الرعب شلل أصابنى حين اشتد عنف لطمات الأمواج





وقسوتها، وفى كل مرة تقذف باللنش أشعر أنه سيهوى إلى القاع بلا عودة..

لكن «الرعب.. الرعب» كان حين صاح قبطان اللنش وكأنه يصرخ: اللنش اتعطل.. ونحن محاصرون وسط الشعب المرجانية القاتلة.

البحر أمامنا وخلفنا .. على يميننا ويسارنا .. والعدو لم يظهر بعد..

يا طارق بن زياد.

ثلاث ساعات طويلة مخيفة واللنش الثانى يحاول مساعدتنا حتى تمكن أخيرا من سحب لنشنا المعطل إلى منطقة قالوا إنها قد تكون أكثر أمنا وألقى البحارة بالهلب.

.. وبدأ اللنش يدور حول نفسه فى دوائر لاتنتهى وكأنه مجنون لايعرف طريقه بينما انطلق اللنش الثانى فى طريقه حاملا بقية الرجال.

وجاء صوت اللواء مصطفى الكاشف من بعيد وسط العتمة يحاول زرع الأمل فى نفوس أصبحت مرتعا لليأس: لاتقلقوا يارجال سنرسل لكم نجدة باللاسلكى.

وحين اختفى الصوت واللنش وسط الظلام كان الخوف والارهاق قد نالا من الجميع إلا قبطان اللنش الذى ظل راقدا على المقدمة يحدق بإصرار فى المياه الثائرة المظلمة. وقال :

الخوف كل الخوف لو انقطع الحبل الذى يربطنا بالهلب.. إذن لاندفع اللنش نحو الشعب المرجانية التى ستسحقه كما تمضى السكين فى قطعة جبن بيسر وسهولة.

وكم تبعد عنا هذه الشعب المرجانية ..؟

خمسة أمتار فقط ..

كيف انقضيت ياليل ومنى جئت يانهار..؟

لم ينم أحد كيف تنام والموت على بعد خمسة أمتار منك .. ؟ ظن القبطان أنه يسرى عنا فظل طوال الليل يتحدث بصوت أعلى من صرير الموج ويروى



حكايات مرعبة عن السفن الغارقة التى كان القاع مثواها الأخير.

قال إن الشعب المرجانية تنفذ فى حديد أكبر السفن بسهولة وتمزقها إربا وتتركها لقمة سائغة لأمواج البحر الهادر، كنا فى نفس المنطقة التى غرقت فيها العبارة سالم بعد شهر واحد.

ومضى النهار بطيئا.. نفد ماكان معنا من ماء وطعام وجفت الحلوق وتصلبت الأمعاء وزاغت الأعين، ولاخبر عن نجدة فجهاز اللاسلكى صامت وكأنه فقد النطق.

وعندما انتصف النهار عاد البحر لجنونه وبدأ البعض يتلو آيات القرآن فى همس لكن عندما نطق أخيرا اللاسلكى أسرعنا حوله وكأنه الأمل الذى جاء من السماء.

لكن الجميع انفضوا من حول جهاز اللاسلكى وكأن الطير قد هبطت على رؤوسهم قالت الرسالة اللاسلكية .

للأسف عليكم الصمود يوما آخر، لأن لنش الإنقاذ الذى أرسلناه لنجدتكم حطمته الشعب المرجانية وغرق.

فى لحظة اليأس هذه قلت لنفسى مايجب أن يقال فى موقف مثل هذا ·

أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ما الموت .. ؟

فراق محتوم .. ؟

نهاية سفر .. ؟

أو سفر لعالم آخر لايعلمه سوى الخالق .. ؟

ساعات وأنا أحدق فى صمت مثلى مثل غيرى من بقية ركاب اللنش البائس فى المياه العميقة.. نسيت اسم الشارع الذى أسكن فيه.. نسيت اسم الجريدة التى أعمل بها، نسيت آمالى وأحلامى، نسيت حتى وجه طفلى المحبوب.. حين تقترب النهاية.. يصغر المرء ويشعر بتفاهته وحقارته،



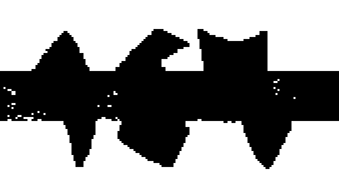
ولايعظم فى عينه سوى ذنوبه ومــاأكثرها.. فهل يغفر من وسعت رحمته الأرض والسماء.. ؟

ثلاثة أيام لاتنسى من عمرى. عشتها فى قلب البحر فى نفس موقع كارثة العبــارة ســالم اكسبريس، عشت مع ضبــاط مكافحــة المخـدرات الـرعب واليأس والاستعداد للموت.

لكل أجل كتــاب.. لعب بنا البحر لكنــه كان يـريد آخـرين فى موعـد آخر وظروف أخرى.

وفجأة جاء الأمل حين ظهرت هليـوكبتر فى السماء بعدها وصلت النجدة ولاأذكر سوى أننى حين وضعت قـدمى على الشاطىء أخيرا وقفت مع بقية الرجــال نطالع الأمـواج المخيفة فى تأثـر، وقد سرح كل مع خـواطره، ونحن مثل مجموعة أشباح تغضنت ملامح وجوههم وطالت لحاهم.

لحظتهـــا .. وبقلــب أدرك كيف يكـــون الاقتراب مــن الموت همست إلى نفسى: وداعا يا بحر.







مـا أن وقعت عينى على الجريـدة البريطـانيـة التى وجـدتها على مكتبى حتى جذب انتباهى الخبر والصورة.

كان الخبر عن فتـاة بريطانيـة تدعى كـارولين بيلى، تم القبض عليها فى نيويورك وهى تهم بصعـود الطائرة المتجهة الى بلادهـا، بعد أن شك رجال أمن مطار نيـويورك فى مظهرهـا وعندمـا قاموا بتفتيشهـا عثروا على كيس بـلاستيك تحت معطفها، وكـانت المفاجأة أنهم اكتشفـوا جثة طفل حـديث الولادة داخل الكيس.

وكان من الواضح أن الطفل الذى مات خنقـا هو ابن «الفتاة البريطانية» التى أحيلت الى المحاكمة وبدأت الصحف البريطانية تتبع أخبار محـاكمتها.

كيف تجرؤ أم على قتل وليدها؟

حتى هذه اللحظة لا أستطيع العثور على اجابة.

وفى الحال يأخـذنى الخبر والقصـة المؤلمة... الى قصـة أخـرى عشتهـا بنفسى منذ حـوالى أربع سنوات ولم تمحهـا الأيام من ذاكـرتى حتى اليوم ولا أظن أنها سوف تنمحى.

... يالها من قصـة.

فى صباح ذلك اليوم منذ أربع سنوات.

دلفت بسرعة عبر باب الجريدة وأنا أهرول ناحية المصعد لأننى تأخرت عن موعد عملى. وفى نفس الوقت صاح بى موظف الاستعلامات:

سيدى.. هذه الزائرة تجلس فى انتظارك منذ ساعة.

التفت ناحية المرأة فوجدتها شابة فى العشرينات من عمرها تحمل بين ذراعيها طفلة رضيع كانت هادئة وصامتة لكنى لاحظت آثار تورم عينيها من البكاء فطلبت منها ان تصعد معى الى مكتبى.

كنت قد تعودت أن يحضر الكثير من القراء الى الجريدة حيث يروون لى مشاكلهم وهمومهم.

فأكتب بعضها وأحاول حل بعضها وتعودت أن يكون أغلب هؤلاء من النساء اللائى لهن مشاكل زوجية، وتصورت ان المرأة الشابة من هذا النوع وأنها جاءت لتشكو ان زوجها يضربها، أو أنه غادر بيت الزوجية بلا رجعة وتركها مع طفلتها الرضيع دون نفقة.

هكذا تصورت.

لكنى لم يخطر لى على بال اطلاقا أننى خلال دقائق وجيزة سوف أكون شاهدا على جريمة قتل بشعة..

جلست المرأة الشابة فى هدوء غريب على المقعد المواجه لمقعدى، وعندما عرضت عليها أن تشرب شيئا هزت رأسها بالنفى القاطع، ثم سرعان ماانخرطت فى البكاء الشديد حاولت أن أهدئ من روعها بكلمات التسرية المعهودة التقليدية، لكن المشكلة أننى لم أكن قد عرفت بعد ماهى مشكلتها.

قالت لى وهى تبكى: أنا قارئة من قرائك.. وانني فى ورطة شديدة. ولا أعرف ماذا أفعل؟

سألتها؟ أى خدمة لن أتردد فى تقديمها لك.. لكن ما هى مشكلتك؟

توقفت عن البكاء فجأة.. والتمعت عيناها بنظرات غريبة، جعلتنى أرتجف وأنا جالس مكانى وقالت: لقد ارتكبت جريمة قتل.

لم أصدق ان هذا الوجه الملائكى يمكن أن يكون وجه قاتلة.

ومع ذلك سألتها: قتل.. ومن هذا الذى قتلته؟



ألقت بالمفاجأة التى كان لها وقع الصاعقة علىّ ونظرت الى طفلتها الرضيع التى تحملها بين ذراعيها.

وهمست : قتلت طفلتى... هذه !

وجدت نفسى أقفز من على المقعد الى ناحيتها وبلا شعور حاولت انتزاع الطفلة منها، لكنى فوجئت بها تحتضنها فى شدة الى صدرها.

وعادت تردد بصوت هيستيرى.. قتلتها.. قتلت طفلتى..

كان الموقف غريبا بالفعل ووقع نظرى على وجه الطفلة البريئة فرأيتها مغمضة العينين لا تتنفس، وكاد قلبى ينخلع تألما وتأثرا .. ومن جديد حاولت أن آخذ منها الطفلة لكنها واصلت التشبث بها.

قلت لها: ربما لا تزال على قيد الحياة.. أعطينى اياها لأسرع بها الى أقرب طبيب.. لكن الأم الشابة رفضت وأخذت تمطر وجه الطفلة بالقبلات وهى تقول بصوت متهدج: لا.. لقد ماتت وانتهى الأمر.

حاولت أن أفكر بسرعة فيما ينبغى أن أفعله. طلبت منها أن تنتظر فى مكانها لدقائق وأسرعت الى المكتب المجاور لمكتبى والذى يخص محمد عبدالقدوس نجل الكاتب الكبير الراحل احسان عبدالقدوس، وبسرعة حاولت أن أروى له ما حدث. وطلبت منه ان يتظاهر بأنه طبيب حتى يمكننا الحصول على الطفلة من بين ذراعى أمها ربما لا تزال فعلا على قيد الحياة.

عاد محمد عبدالقدوس معى الى مكتبى..

وقلت للأم المذعورة: هذا هو الطبيب.. أرجو أن تسمحى له بإلقاء نظرة على الطفلة.

وتقدم محمد عبدالقدوس برفق منها، ولا أعرف كيف استسلمت وأعطته الطفلة، ووضع عبدالقدوس يديه فوق فم الطفلة ثم رأسه على صدرها، ثم حاول أن يعثر على نبض شرايين يديها لكن بلا جدوى.

ورفع محمد عبدالقدوس وجهه عن الطفلة التى كان يحملها بين يديه.

وقال وعيناه قد امتلأتا بالدموع: إنا لله وإنا إليه راجعون. والبقاء لله.

جثة فى مكتب؟

وجريمة قتل بشعة؟



كـان لابد من ابـلاغ الشرطة، فغـادرت المكتب واتصلت بهم، وطلبت منهم ألا يحضروا بـزى الشرطة الـرسمى وانما بمـلابس عاديـة، حتى لا نستثير الأم القاتلـة، فمن يعرف مـاذا يمكن أن تفعل أيضا بعد أن قتلت فلذة كبدها؟

وعـدت اليها أحـدثهـا محاولا العثـور على الدوافع وراء ارتكـابها لهذه الجريمة التى تتنـاقض مع الطبيعة. وفهمت منها انها تـزوجت قبل عامين فقط، وأن حياتها عـادية سوى بعض مشاكل مع أسرة زوجهـا، وان الزوج ضعيف الشخصية يميل دائما الى صف أهله ضد زوجته.

وقالت ان زوجهـا انصرف إلى عمله فى ساعـة مبكرة من الصبـاح وبعد ذلك جلست وحيـدة فى الفـراش تتأمـل طفلتهـا النـائمـة، ثم فجأة رفعت الـوسادة وأطبقت بها فـوق وجـه طفلتها، ولم تـرفعها الى بعـد أن أخمدت أنفاس الطفلة البريئة وماتت مخنوقة بيد أمها.

وفى علم النفس يسمـون هذه الحالـة «الجنون اللحظى» الـذى يصيب الانســان فجأة ويجعلـه يفقـد عقلـه فيرتكـب من التصرفـات مـالا يمكن تصديقه.

ومر الوقت بطيئا..

وأخيرا حضر رجـال الشرطة الـذين تظاهـروا بأنهم أطباء وأخـذوا الأم القاتلة وجثة الطفلة.

وطلب رجال الشرطة منى أن أذهب معهم.

لمـاذا .. ؟

قالوا: أنت شاهد فى قضية القتل هذه؟

استمر تحقيق الشرطـة والنيابة حتـى الغروب. وعدت الى الجريـدة مرة أخرى متعبا مـرهقا وقد نالت الجريمة البشعة من أعصـابى، ووجه الطفلة المسكينة مغمضة العينين لا يفارق خيالى.

فى لحظة مثل هـذه يكره الانسان كـل شىء ويشك فى أى شىء ويعجزه تصور ما حدث وما يمكن أن يحدث.

تهالكت على مقعـدى وأنا ألعن فى سرى هـذه المهنة التى تعـرضنى لمثل



هذه المواقف وشعـرت بمن يفتح باب المكتب، وعندما رفعت رأسـى وجـدته ابراهيم سعده رئيس التحرير.

سألنى: ماذا تنتظر؟

قلت: ماذا؟

قال: لم يبق على موعد طباعة الجريدة وقت طويل.. اكتب القصة فورا..

وتذكرت كل هذا صباح أمس وأنا أقـرأ خبر الأم البريطانية قاتلة طفلتها فى نيويورك. وتـذكرت أيضا كيف عشت فترة ما يقـرب من العام فى أحداث القضية الأولى، فقد كنت مضطرا طوال هذه الفترة الى حضور محاكمة الأم، حتى أصـدر المستشار محمـد سعيد العشماوى رئيس محكمـة جنايـات القاهرة حكمه فى النهاية بإيـداع الأم القاتلة فى مستشفى الأمراض العقلية.. ولأن شر البلية ما يضحك «كما يقولون» فقـد تذكرت وأنا أبتسم لنفسـى فى مـرارة صبـاح اليـوم التـالى لهذه الجريمـة البشعـة، فعلى الـرغم من أننى سجلت بـالكلمة والصـورة تفاصيل مـا حـدث تماما فإن احـدى الصحف صدرت فى نفس اليـوم، وهـى تحمل عنوانـا للقصة يقـول «أم تقتل طفلتها وتطلب من الصحفى محمـود صـلاح مسـاعـدتها فى التخلص من جثـة الطفلة » .

أى أن زميـلى الصـحفى البـاحث عن الاثـارة رأى أن مهنتى ليست صحافيا وانما حانوتى.. !

رقم الإيداع ٥٦٥٥ / ١٩٩٦
الترقيم الدولى I. S. B. N
977 - 08 - 0538 - 6

طبع بمطابع أخبار اليوم

محرر الحوادث هو الذى يقوم بتسجيل الجريمة كما وقعت من خلال دفتر الأحوال بأقسام الشرطة.

ولكن.. هناك مجموعة محدودة من الصحفيين نطلق عليهم «كتاب الحوادث» وهم الذين يحولون الجرائم التى تحدث الى قصص فيها كل عناصر الدراما.. وهم يؤكدون لنا أن الواقع فى أغلب الأحيان أغرب من الخيال..

ومن هؤلاء الكتاب محمود صلاح الذى برع فى كتابة الدراما الانسانية فى «أخبار اليوم» من خلال الغوص فى الحوادث التى تقع ويستخرج البعد الإنسانى الذى كان السبب الحقيقى فى وقوع الجر

وهذا البعد الإنسانى الذى برع محمود صلاح الكشف عنه هو الذى جعل منه كاتبا متفردا للدرا الانسانية التى تعتمد على الجرائم التى تحدث فى المجتمع.

وهذا الكتاب يحوى مجموعة من القصص الرائعة والغريبة لم يتدخل الخيال فى كتابتها.. ولكن جميعها قصص حدثت وسجلت فى أقسام الشرطة والنيابة والمحاكم.. مما يؤكد أن الواقع يمكن أن يكون أغرب من الخيال.

نبيل أباظة

